النص الأول

رؤيا عربية على ضفاف الرافدين

للشاعر فراج الطيب

كثير من الشعراء السابقين قد عاشوا الواقع والحلم واستغرقوا لحظات الحلم و (فراج الطيب) من هؤلاء :-

- فمن فراج الطيب ؟
- ما الحلم الذي عاشه هذا الشاعر ؟
- ما المفردات التي كونت هذا الحلم ؟

دعنا نجيب عن ذلك عبر السطور التالية .

فراج الطيب شاعر سوداني من الأصوات المتميزة التي لم تنل حظًا من الشهرة والذيوع عبر الساحة الأدبية في وطننا العربي الكبير ، آمل عبر هذه الصفحات أن أجلو صورته للقارئ العربي :

يقول عنه أخوه " حديدا لسراج ":

" ولد شقيقي الراحل فرّاج في شهر مارس عام ١٩٣٢ م في حي بيت المال بأم درمان ثم ارتحل مع أسرته وهو طفل صغير إلى منزل آخر بحي ود نوباوي بأم درمان " (١).

" وعندما بلغ فراج سن السابعة كان من المفترض أن يلتحق بالتعليم النظامي ، ولكن والده آثر أن يتولي تعليمه بنفسه ".

" وفي عام ١٩٥١ التحق الأستاذ فراج بمدارس الشعب بالخرطوم بحري التي أسسها ابن عمه الأستاذ / ميسرة السراج موظفا ، ومحاسبًا ، ثم مدرسًا ، وظل يعمل بمدارس الشعب حتى شهر مارس ١٩٦٣ م " .

١- فراج الطيب شاعرًا ، حديد السراج ، ص ٢ وما بعدها ، دار السراج للإعلام والنشر .

" وفي عام ١٩٧٠ أوفد الأخ فراج إلى معهد التربية ببخت الرضا حيث حصل على دبلوم التربية . وفي نوفمبر ١٩٧٢ تولى مهام مدير مدرسة أبي روق الخاصة للبنين خلفًا لشقيقه (حديد) الذي انتقل إلى العمل بوزارة الثقافة والإعلام بعد عام من تخرجه في الجامعة مذيعًا (بالإذاعة السودانية) .

" وفي عام ١٩٨٨ تم تعيين الأستاذ / فراج أمينًا عامًا للمجلس القومي للآداب والفنون " (١) .

ولفراج الطيب أعمال شعرية ، وإسهامات أدبية بارزة منها أنه :

- " قدم العديد من البرامج الإذاعية . لعل أشهرها :"في محراب الشعر" " يقولون"، " لسان العرب " الذي اشتهر على نطاق السودان والعالم العربي ".
- شارك الأستاذ فراج في تقديم العديد من البرامج التليفزيونية أشهرها : " فرسان في الميدان " .
- " شارك الأستاذ الراحل بدور فاعل في إثراء الحياة الأدبية في السودان : شاعرًا ، وكاتبًا ، ومحاضرًا وعرفته المنابر بطريقته المميزة في الإلقاء الشعريّ .
- شارك ومثل السودان في الكثير من المهرجانات الأدبية والشعرية في الوطن العربي ، أشهرها : مهرجان (المربد) في العراق . ومهرجان (الجنادرية) في المملكة العربية السعودية .

شارك في تأسيس عدد من التنظيمات الأدبية مثل : " جمعية الأدباء " ، اتحاد السودانيين " (٢) .

---

١ ـ المصدر السابق نفسه

٢ ـ المصدر السابق نفسه .

- طبعت له قصائد متفرقات منها : " رؤيا عربية على ضفاف الرافدين " " دار السلام " ، " ترانيم في محراب الليل " ، " تراتيل في مقام الصديق " "اختاره الله إلى جواره مساء يوم الاثنين الخامس من أكتوبر عام ١٩٨٨ م ففقدت الساحة الأدبية بفقده أديبًا وعالمًا وشاعرًا نابها ، ومدافعًا صلبًا عن العربية لسان أهل الجنة ولغة القرآن . رحمه الله رحمة واسعة ، وأثابه بقدر عطائه لشعبه وأمته ودينه " .

حلم لم يكتمل :

أما حلم فراج الطيب – الذي لم يكتمل – فقد ضمنه في " معلقته " الشهيرة : " رؤيا عربية على ضفاف الرافدين " التي ألقاها في مهرجان " المربد " بالعراق عام ١٩٨٧ م .

وهي معلولة تقع في مئتي بيت وخمسة ..

وقد نشرتها جريدة " ألوان " السودانية في عددها رقم (٢٢١) الصادر في الاثنين الموافق ١٤ من ديسمبر عام ١٩٨٧ م .

وقد صاغ الشاعر أبيات هذه القصيدة على نغمات بحر " البسيط " وهو من البحور الثرية التي تعطى الشاعر مساحة كبيرة للتعبير عن أفكاره وعواطفه لما في هذا البحر من تنوع في التفعيلة .

ولنا أن نتأمل أبيات هذه المعلقة لنعيش الحلم الذي عاشه فراج الطيب وعبر عنه عبر أبياتها .

عنوان القصيدة (رؤيا عربية . . على ضفاف الرافدين) بشي بمضامين كثيرة ، أبرزها رابطة الدم ، وشعور العروبة الذي ما انفك يتغلغل في قلب كل عربي

ينطلق لغة الضاد ، فهذا شاعر سوداني أنبتته تربة وادي النيل العذب يتغنى في العراق العريق على ضفاف دجلة ، والفرات ، كما يشي العنوان بالحلم العربي الذي يداعب مخيلة أبناء يعرب في طول البلاد العربية وعرضها .

ثم دعنا من العنوان لننصرف إلى حلم شاعرنا أو رؤياه العربية فهو يبدأ معلقته بإطلالة على الواقع العربي المؤلم ، تبدو فيه القوافل تسير في ليل معتم لا دليل فيه وهو متواصل ، ليس فيه قمر ، ولا تعقبه شمس ، ويبين لنا أن الليل الذي يقصده واضح بيّن للناس جميعًا ، من خلال التعريف باسم الإشارة ، واقتران كلمة الليل بالألف واللام في قوله :

حتّـــام نســـري وهـــذا الليـــل معتـــك

ولا دليـــل ولا شـــمس ولا قمـــر

في إشارة واضحة إلى ما أصاب العرب من ضعف وركود في كل المجالات .

وبينما الشاعر – وهو عربي – في تأمل واقع أمته المرير ، لا صوت يجيب ولا مرعى يحليب ولا فكر يجلوله الحقيقة ويأخذ بيده ، بينما هو كذلك في تأمله يلح عليه التساؤل ، وتتزاحم في خاطره الرؤى إذا به يرى حلمًا عجيبًا ، يقول:

وحينما لج بـــي التســـآل وازدحمـــت

في خـــاطري مـــن ســـمادير الـــرؤى زمـــر

رأيـــت فـــي ليلـــة مقـــرورة حُلُمًـــا

جـــم الخيـــالات فيـــه الفكـــر مُنبهـــرُ

ثم يتابع (فراج الطيب) سرد ما شاهده في رؤياه ، فيقول : إنه رأى :

خـــيلاً تجفّـــل شـــقرًا ذات أجنحـــة

بـــيض بوامضـــها التحجيـــلُ والغُـــرر

خلت الزبرجد يجـري فـي حوافرهـا
ومـــن نواظرهـــا اليـــاقوت ينتثـــر
أعرافهـــا عســـجديات لهـــا هـــدب
يســـيل مـــن حملـــه الـــديباج والحيَـــرُ
صـــهيلها فـــي المـــدى لحـــن ترجعـــه
الأوداء والأكـــم والأشـــجار والمـــدرُ
يئـــن فـــي الهضـــب تـــارات وآونـــةً
فـــي الســـحب مـــوطنهن الأنجـــم الزهـــر

وما هذه الخيل التي يحلم بها (فراج) إلاَّ جياد الفتح العربي التي حملت لواء التنوير، والهداية إلى شتى بقاع الأرض، وتهاوت تحت حوافرها جحافل الكفر والطاغوت والطغيان، وفوق أعرافها فوارس غمر الأيمان قلوبهم، فانطلقوا لا هدف لهم إلاَّ نشر كلمة التوحيد في أرجاء المعمورة.

وتتضح ملامح الحلم أكثر حين يدين لنا الشاعر القائد الذي يقود كتائب الفتح الموارة، وهو المنقذ المأمول الذي جاء بالبشرى بشرى النصر والظفر بعدما أنبتته أرض العروبة والإسلام :-

وبينمـــا أنـــا فـــي رؤيـــاي تهصُـــرُني
أرواحهـــا الهـــوج مـــأخوذا فأنصـــهر
ســـمعت صـــائحة البشـــرى مثوِّبـــةً
تقـــول أبشـــر أتـــاك النصـــر والظفـــر
هـــذا هـــو المنقـــذ المـــأمول تنبتـــه
أرض العروبـــة للإســـلام ينتصـــر

قـد جـاء مـن كنـف الـرحمن مُبتعثـا

لأمـه قـد يراهـا الضـر والضـرر

لقد طال انتظار الشاعر هذا المنقذ المأمول بعدما برح به الأسى وبرح بأمته وكم تاقت النفوس لمرآه كي يحدو قوا فلنا إلى الخلاص . حتى جاء ليحيي أمة عصفت بها الأحقاد والأهواء والمطامع والأزمنة . يقول مخاطبًا المنقذ في حُلمه :

أنـت الـرؤى الخضـر نحبوهـا مآقينـا

مَهزًا ويـرخصُ مـن جُرائهـا العُمُـر

فـي بردتيـك لمحنـا طيـف " معتصـم "

غضـبان تتبعـه الرايـات والقَتَـر

ويقول عنه :

يعيـد للعـرب . . للإسـلام عزتـه

سـيفًا تخـر لـه التيجـان والقَصَـر

وهو غير هيّاب ، لا تخيفه الأهوال والنذر :-

وقـد تحـدت نـذير الشـهب همتـه

فـلا الأهاويـل تثنيهـا ولا النـذر

ويسترجع الشاعر ماضي أمته ، وكيف تخاذل نبوها . وأضاعوا حاضرها بإهمالهم وتقاعسهم ، يقول :

أودى بنوهـا بماضـيها وحاضـرها

فمـا لهـا فـي غـد عـينٌ ولا خبـرُ

رأي الشاعر في شعر الحداثة :

ولفراج العليب رأي في شعر الحداثة عبر عنه في الأبيات التالية ، واصفا الشاعر الحداثي بقوله :

يُهجن الوزن والإعراب حـين سـمت
ذراهمـــا . . وثنـــاه العجـــزُ والقِصَـــر
هل ينحني الطود إن أعيت قوى قَـزَمٍ
وهـــل يعـــاني المعـــالي المـــتخم البطـــرُ ؟
ولج يهزأ بالفصحى وبـــالأدب الجـــزل
الأصـــــيل فمـــــا يَلْويـــــه مُزْدجـــــرُ
يدعو جهـولاً إلـى تلـك الحداثـة أو
تلك الغثاثـة . . وهـي الزيـف والـزورُ
و أعجبتـــه فقـــاقيع الأكـــف وقـــد
عجـــت تـــدق طبـــولاً مالهـــا خَطَـــر
فهـــاج والصـــلف المغـــرور ينفخـــه
كيـــرًا . . فيزيـــد فـــي أشـــداقه الهَـــذَرُ
وعـــاد يُزهَـــى بأحـــداق مهلهلـــة
لا الشـــعر يعرفهـــا يومًـــا . . ولا الشّـــعَر
يلفـــق المســـخ وهمـــا ثـــم يزُعمـــه
شـــعرًا جديـــدًا بـــه الأجيـــال تفتخـــرُ

ثم يقول عن التجديد في الشعر :

وهـــل يجـــدد إلا كـــل ذي بصـــرٍ
بالشعر يعـرف مـا يـأتي ومـا يـذرُ ؟
لكنـــه مـــرض التقليـــد تنشـــره
قرودنـــا بـــين أغـــرار فينتشـــر

ويقول في تعريف الشعر :

ما الشعر – قولوا – بلا وزن وقافيــة

وحــــر لفـــظ تـــوارى عنـــده الـــدرر

ويقرر الشاعر أن العرب تخلفوا عندما فرطوا في لغتهم بقوله :

لم يخـذل العــرب إلا بعــدما خـذلوا

لســانهم . . ولبطـــل العجمـــة انتصـــروا

ثم يعرج " الطيب " على البحور الخليلية مبينًـا أنه لا يقول الشعر إلاَّ من أدراك الوزن و أجاد السباحة في بحوره المختلفة فيقول :

بحر الخليل مخوف . . كيــف يركبــه

ضعف الشعاريرِ وهــو المصــعب لخطــر

عبابـــه يلطـــم الشـــطين مصـــطخبًا

لـــه شقاشـــق فـــي تهـــدارها الغَـــررُ

لكنمـــا ينتحيـــه كـــل ذي همـــم

مـــن الفحالـــة لا تعتاقـــه النـــذرُ

يعلو ظهـور القـوافي جُفْـلاً جُمُحًـا

إذا اتقـــى بأســـهن العـــاجز الحـــذرُ

ويقول مخاطبًا من انحرفوا عن جادة الشعر :

رفقًا بنا أدعياء الشعر . . مـا لكمـو

وللقـريض ؟ ولسـتم بـالألى شـعروا ؟

إنـــي لأعجـــب مـــن غـــادٍ لمعركـــةٍ

ولا حســـــام ولا رمـــــح ولا وتـــــر

ثم يعجب من أمرهم قائلاً :

أبالركاكـــات ينقـــاد البيـــان لكـــم

رفقًـــا بـــأمتكم يـــا أيهـــا النفـــر

وإن أبيـــتم فصـــوغوا فضـــل هـــذركمو

بألســـن العجـــم يحســـن عنـــدها الهـــذر

ويقول :

الشعر في العرب لا فـــي العجـــم منبتـــه

فكيـــف يزعمـــه الرُطـــانُ والحَصبـــرُ ؟

ويقول معاتبًا ومبرزًا حبه لعروبته وشعره العربي :

لا تنكـــروا حـــر أنفاســـي ومعتبتـــي

حبـــي ليعـــرب مثـــل النـــار يســـتعر

إنـــي امـــرؤ عربـــي لـــيس يطربـــه

مخنـــث الشـــعر – ذاك الشـــعر محتقـــر

خرج فراج الطيب من حُلمه وسعادته بالمنفذ المأمول ، ليحدثنا عن الشعر العربي ، وما طرأ على الساحة من شعر .

ويبدى شاعرنا اعتراضه ، ورفضه كل هذه الأنماط التي خرجت عن مألوف الوزن والقافية ، وسماه (مسخًا) ، وسمى الحداثة (بالعثاثة) ثم وصف أرباب هذا النمط الحداثي من الشعر بـ(الناعقون) كما وصفهم بـ (ضعف الشعاريز) و أنهم عـاجزون عـن الخـوض في البحـور الخليليـة ، و أنهـم أدعيـاء الشـعر ، و أن بضاعتهم (حارت ودارت وبارت ، واطلخم بها ليل الضياع) .

وتبلغ الثورة ذروتها عند (الطيب) فيصبح بأصحاب النزعة التجديدية المتحررة في الشعر قائلاً (رفقًا بأمتكم يا أيها النفر) ويطلب منهم أن يصوغوا أناشيدهم الجديدة بألسن العجم ، لا باللسان العربي .

وهذه دلالة واضحة على الرفض التام لهذا اللون من التجديد .

والشاعر محق في دعواه لأن الساحة الأدبية صارت تعج بموجات من التحديث ، لا يدرى إلى أي مدى ستصل بنا ، وتحت مسمى قصيدة النثر صرنا نقرأ أشياء غريبة كل الغرابة عن أدبنا العربي الذي تمتعنا بقراءته قرونا طويلة .

ويستغرق الطيب في حلمه العربي فيقول مخاطبًا المنقذ المأمول ، موضحا أنه سيف من عند الله فلا يستطيع أحد أن يغمده ، مصرحًا باسمه ، إنه عمر فيقول :

هتفت بالمنقذ المأمول في حلمي
أهلاً بمقدمك الميمون يا عمر
طلعت سيفًا على الباغين منصلتًا
شعاعه الحق والتصميم والقدر
سيفًا من الله ، نصر الله جرده
فليس يغمده جن ولا بشر

ويرى في الحلم أننا كنا في متاهات ، وفي حيرة لا نستبين الرشد ، حتى طلع علينا المنقذ المأمول تحف به هالات من اليقين في إشارة إلى قوة الإيمان ، فيقول :

ظلنا نرجيك مذ ضلت طلائعنا
نهج الطريق . . وحار الفكر والبصر
وجئت في جحفل من عزمك التمعت
فيه الصوارم والخطية السمر

تحـــف خطـــوك هـــالات مشعشـــعة
مـــن اليقـــين . . كواهـــا الآي والســـور
تحطمـــت فـــي رواســـي طـــوده حطـــم
مـــن الرزايـــا وداعـــي الحـــق منتصـــر
[والحـــق للعـــزم والأرواح إن قويـــت
سادت وإن ضـــعفت حلـــت بهـــا الغيـــر]
[ففـــي العرينـــة ريـــح لـــيس يقربـــه
بنو الثعالب. . غاب الأسد أم حضـــروا]
[وفـــي الزرازيـــر جـــبن وهـــي طـــائرة
وفـــي البـــزاة شـــموخ وهـــي تحتضـــر]

ثم يعود الشاعر إلى أمر يؤرقه ، وهو عدم الاهتمام بلغة القرآن وتراجعها مبينًا أن إهمال اللغة من أسباب ضعفهم وتدهورهم ، وأن العدو يحارب اللغة ويسعى في خرابها فيقول :

ظلنـــا نرجيـــك والفصـــحى يكـــدرها
شـــرانم مـــالهم فـــي صـــفوها وطـــر
عـــدوا عليهـــا وجاســـوا حـــول مخـــدرها
أراقمًـــا ســـمها كـــالموت محتـــذر
وحاربتهـــا عـــداة الحـــق إذ علمـــوا
أن اللســـان حســـام الأمـــة الـــذكر
و أنـــه القنـــة القنـــواء يقصـــر عـــن
إدراكهـــا حلـــم الأقـــزام والنظـــر.

ويقول مبينا ما ارتكبه النفر الضعيف من العرب في حق اللغة : -

جنوا على أدب الفصحى بما نشروا
من المهازل فانقادت لهم زمر
وراقهم خنث الإفرنج فاطرحوا
فحل البيان ، فكان العي والحصر
وجاء شعر كما الأنثى يحار له
فهم اللبيب فلا أنثى ولا ذكر

ويصل الحلم إلى ذروته ، إذ يرى الطيب مواكب الفتح العربي موارة تسير سعيًا إلى استعادة المجد العربي القديم ، فيقول :

ماذا أقول وفي بردي نفس شج
تلاصفت دونها الأحلام والذكر ؟
فامجد في جفنها الجاري له صور
والوجد في جوفها الواري له صور
زهت وجوه رياضي حين ضاحكها
من الرؤى الخضر سماح له غدر
ونر في الشرق وجه الشمس تقدمه
مواكب من مرايا النور تنهمر

ويقول :

ماذا أقول وفي الأضلاع ذو طرب
يا طالما شفه التخفاف والسهر ؟
و أسرج الليل مهر الليل مرتحلا
وما بقاء الدجى والصبح منتشر ؟

مـــاذا أقـــول وأطيـــاف توامضـــنني

شـــتى تـــزاحم فـــي أعراضـــها العبـــر؟

وتلوح أمام الشاعر صور الأبطال الفاتحين يتقدمهم خالد بن الوليد وصلاح الدين آملاً في استرجاع المجد التليد الذي حققناه منذ فجر الحضارة ، فيقول :

فخالـــد وخيـــول الفـــتح مـــائرة

مـــورا لســـيول عليهـــا فتيـــة صـــبرُ

دانـــت عـــروش لهـــم كانـــت ممنعـــة

فما طغـــوا قـــط فـــي الـــدنيا ولا بطـــروا

وقد تراءى صـــلاح الـــدين يعبـــر فـــي

حطـــين هـــام البيـــد والخطـــب معتكـــر

حتى تـــوارى ظـــلام الشـــرك منكســـرًا

والشرك – إن صدق الإيمـــان – منكســـر

ويعود طيف الوحدة العربية الكبرى يداعب مخيلة الشاعر ، توحد بالفعل لا بالقول ، فما المؤتمرات ، ولا اللقاءات مجدية ما لم تصدق النوايا والرغبة في الاتحاد يقول :

طيوف وحـــدتنا الكبـــرى تهـــازجني

مُنـــى جـــوامح تحيـــا ثـــم تنـــدثر

تجمـــع وافتـــراق عمـــر أمتنـــا

خلـــف التوحـــد حتـــى ينفـــد العمـــر

تهفـــو لمـــؤتمر مـــن بعـــد مـــؤتمر

قلوبنـــا وبريـــق الوحـــدة الـــوطر

ولا نـــرى غيـــر أقـــوال منمقـــة
وأمنيـــــات علـــــى الأوراق تســـــتطر
يوحد العـــرب صـــدق العـــزم ينفـــذه
فعـــل الرجـــال الألـــى إن صـــمموا بتـــروا
يوحـــد العـــرب نهـــج الله متبعًـــا
ما وحـــد العـــرب – مـــد الـــدهر – مـــؤتمر
هتفت بالمنقـــذ المـــأمول فـــي حلمـــي
أهـــلا بمقـــدمك الميمـــون يـــا عمـــر

المستوى البنائي

هذا هو محتوى القصيدة وما تضمنته من معان وفكر، بدت جلية واضحة للعيان تتوجها الشمولية والترتيب والعمق .أما بنيتها الأسلوبية والجمالية، فواضح ما للشاعر من باع طويل في هذا النمط العمودي الذي يروق السامع ، والقصيدة تتنوع أساليبها بين الخبر والإنشاء :

الإنشاء كالاستفهام الذي افتتح به القصيدة :

حتام نسري وهذا الليل معتكر ؟ ولا دليل ولا شمس ولا قمر ؟

استفهام يبرز حالة الاستنكار والقلق الذي يعيشه الشاعر وكل عربي

وكذلك الاستفهام الذي يفيد النفي في قوله :

هل ينحني الطود إن أعيت قوى قزم؟ وهل يعاني المعالي المتخم البطر؟

وفي قوله :

وهل يجدد إلا كل ذي بصَبَر بالشعر يعرف ما يأتي وما يذر؟

والاستفهام الذي يفيد التعجب والدهشة في قوله :

الشعر في العرب لا في العجم منبته فكيف يزعمه الرطان والحصر؟

ثم انظر إلى أساليب الاستفهام في قوله:

ماذا أقول وفي الأضلاع نفس شج تلاصفت دونها الأحلام والسنكر؟

وقوله :

ماذا أقول وفي الأضلاع ذو طرب يا طالما شفه التخفاف والسهر؟

وقوله :

ماذا أقول وأطياف توامضني شتى تزاحم في أعراضها العبر؟

كلها أساليب استفهامية تفيد التوجع والتحسر على الأماني التي لم تتحقق . وقد اعتمد الشاعر على الاستفهام لما له من نفذ وقدرة على نقل إحساس الشاعر وما يمور في داخله .

وقد جاءت الأساليب الخبرية في الأبيات بقصد التقرير ، وإثبات حالة التمزق والتأخر التي يعيشها مجتمعنا العربي كما في قوله عن العروبة :

أردى بنوها بماضيها وحاضرها فما لها في غد عين ولا خبر

وهذا خبر يفيد تحسر الشاعر على ما أصاب اللغة العربي :

نُهجن الوزن والإعراب حين سمت ذراهما .. وثناه العجز والقصر

وهذا الخبر الذي يفيد التمني والأمل في الوحدة الكبرى التي تجمع شمل العرب جميعا في قوله :

تهفو لمؤتمر من بعد مؤتمر قلوبنا وبريق الوحدة الوطر

وفي النص كثير من المحسنات كالطباق في قوله :

طيف وحدتنا الكبرى تهازجني مني جوامح تحيا ثم تندثر

وفي قوله :

تجمع وافتراق عمر امتنا خلف التوحد حتى ينفد العمر

أما الصور الجمالية الجزئية فكثيرة نراها في التشبيه والاستعارة مثل :

أعرافها عسجديات – صهيلها في المدى لحن – أعجبته فقاقيع الأكف – مرض التقليد – بحر الخليل مخوف – أبا لركاكات ينقاد البيان لكم – حار الفكر والبصر – شعر كما الأنثى .. إلخ.

وقد اعتمد الطيب في إبراز فكرته على الحوار الداخلي بينه وبين نفسه وهو يصف الحلم تارة ، وفي حواره مع المنقذ المأمول ، وهذا يدل على مدى الاستغراق

والمعايشة التي تشي بمدى التأثر وعمق تجربة الشاعر وهذا أمر مهم يقيم جسرا من التواصل بي المبدع والمتلقي ، كما اعتمد الطيب على اللفظ العربي الفصيح الجزل اعتزازا بلغتنا ، وإدراكا بمدى ثرائها وطواعيتها وكأني به من طرف خفي يعطي مثالا للقارئ ودليلا واضحا لأولئك الزاعمين - زورا وبهتانا قصور لغتنا ، والتمسح بلغة الإفرنج وطرائقهم التي لا تستسيغها أذواقنا في صوغ الشعر ، تحت مسميات تطالعنا بين الحين والآخر فنرى أنماطا شعرية عجيبة ، نشتم فيها رياح الغرب وتقاليده وبيئته ، وكأن بيئتنا العربية التي شرفها الله برسالاته السماوية المقدسة لا تروق هؤلاء الذين اتخموا من موائد الإفرنج وطعامه غير المستساغ .

هذا حلم شاعرنا فراج الطيب ، بل حلم كل عربي آمل في استعادة الأمجاد ووحدة الصف العربي ، والحفاظ على لغة القرآن ، ففيها القوة والمتعة والعز والارتقاء.

ويجيء الخطاب الشعري في صورة حلم يرسم به الشاعر الطريق لأمته وقد يقول قائل : إنه مجرد حلم ! نعم هو حلم ولكن " من الأحلام ما يتوقع " .

وشاعرنا صاحب رسالة يبرز من خلالها دور الشاعر في خدمة وطنه و أمته فرأينا قصيدة كلاسيكية الشكل في ألفاظ جزلة تجعله بحق في مصاف الشعراء الفحول ، فذكرنا برصانه شعر البارودي ، وموسيقية شوقي ، وسلاسة حافظ إبراهيم .

النص الثاني

أبلغ إيادا

لقيط بن يعمر الإيادي

أبلغ إيادا وخـــال في ســـــــــراتهم
أني أرى الرأي إن لم أعص قـــد نصـــعا
يالهف نفســـي إن كانـــت أمـــــوركم
شـــتى وأحكم أمـــر النـــاس فاجـــتمعا
ما لي أراكـــم نيامـــا فـــي بلهـــــنية ؟
وقد ترون شهاب الحـــرب قـــد ســـطعا
فاشفوا غليلـــي بـــرأي مـــنكم حصـــد
يصـــبح فـــــؤادي له ريان قـــد نـــقـــعا
صونوا جيـــادكم واجلـــوا ســـيوفكم
وجـــددوا للقسي النبـــل والشـــــــرعـــا
لا تثمـــروا المال للأعـــــداء إنهـــــم
إن يظهروا يحـــــتـــووكم والتـــلاد معا
يا قـــوم بيضتكم لا تفجـــعـــــن بهـــا
إني أخاف عـــليها الأزلم الجـــــزعـــــا
يا قـــوم إن لكم مـــــــن إرث أولـــكم
مجـــــدا أحاذر أن يـــفـــنى وينقـــطـــعا
ماذا يـــرد عـــليكم عز أولـــكـــــــم
إن ضـــاع آخـــــره أوذل واتضـــــــعـــــا؟
يا قوم لا تأمنوا إن كنتـــــم غـــــيرا
على نســـائكم كـــســـــــرى وما جـــمـــعـــا
هو الفناء الذي يجـــتث أصـــــــلكم
فـــمـــن رأى مـــثـــل ذا رأيا ومـــن ســـمـــعا

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم
ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا
وقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
فليس يشغله مال يثمره
عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا
لا مترفا إن رخي العيش ساعده
ولا إذا عض مكروه به خشعا
هذا كتابي إليكم والنذير معا
لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا
وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل
فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

لَقيطِ بنِ يَحمُر بن خارجة الإيادي :

شاعر جاهلي فحل، من أهل الحيرة. كان يحسن الفارسية واتصل بكسرى سابور (ذي الأكتاف)، فكان من كتابه والمطلعين على أسرار دولته ومن مقدمي مترجميه.

اتفق المؤرخون جميعاً على أن اسمه "لقيط بن يعمر الأيادي" كما أجمعوا على نسبته إلى قبيلة إياد. ولكنهم اختلفوا فيما عدا ذلك. فالمعلومات التي سجلت عن حياته ضحلة جداً، وتشتد بها الأسطورة والخلط والصحيح منها لا يكاد يخرج عن ذكر اسمه .

مقاربة النص :

المستوى الفكري :

هذا النص صيحة تحذير من إنسان عربي يخاف ان يلم بقومه أذى أو مكروه .

ولأن الشاعر يعمل كاتبا عند كسرى ، فقد اشتم منه اعتزامه على مهاجمة إياد (قبيلة الشاعر) ، فهب مذعورا يحذرهم ، ويناشدهم أن يتحدوا ويكونوا على قلب رجل واحد لمواجهة ما يحدق بهم من أخطار ، **ويقول لهم** :

بلّغ قبيلة إياد ، واخصص أشرافهم ورؤساءهم بهذا التبليغ ، فقد أصبح الأمر واضحاً لا يحتاج إلى انتظار أو تأويل ، وما أشد تلهفي وتوجعي إذا واجهتم التهديد والخطر وأنتم متفرقون ، وعدوكم قوي متحد مترابط .

ويقول :

إن (الفرس) قد احتشدوا لكم عن آخرهم يتنون غزوكم ، وهم كثير مثل الجراد يسارعون إليكم من كل صوب وحدب ، ويعدون لكم العدة للقضاء عليكم وقد تركوا كل أعمالهم وشواغلهم وتفرغوا لاستباحة ساحتكم وقهركم ، كل هذا وانتم نيام في بلهنية وغفلة لا تحركون ساكناً مع أن الخطر على مرأى البصر منكم قد تجهز واستعد لإبادتكم فاجمعوا أمركم على رأي قوي واحد يشفي الفؤاد ، ويريح النفس ، وجهزوا للعدو السيوف والقسي والخيل المسومة ، لأن الأعداء إن يتغلبوا عليكم فلن تنفعكم هذه الأموال التي ستكونون معها ملكاً لهم بعد أن ينتصروا عليكم ثم يطلب منهم اختيار قائد ملهم خبير بأمور الحرب قادر على تحمل تبعاتها قوي في مواجهة الشدائد ، قد عركته الأيام ، وصقلته تجارب الحياة وتقلبت عليه

الأيام بحلوها ومرها حتى اشتد أسره، واستحكمت إرادته، وليس يشغله يثمره وينميه ، ويختم قصيده آملاً أن يجد كلامه وتحذيره صدى في نفوسهم.

المستوى البنائي :

القصيدة خطبة حماسية ، صاغها الشاعر على نغمات وإيقاع البحر البسيط، لذا تعلو نبراتها وتهبط وتتراحب موجاتها وتنقبض بقدر ما تسمح تفعيلات البحر بذلك ، والعاطفة فيها واضحة جلية وعناصر الإثارة فيها نابعة من النظر إلى مشكلة وجود الجماعة ومن حرص الفرد المخلص على مصلحتها ، ونلمس العاطفة واضحة جلية في أمور عدة أبرزها :

- تحذير الشاعر من الفرقة ، و تخوفه وقلقه الشديد منها .
- التأمل في العواقب الوخيمة الناجمة عن الغفلة والانشغال بالتجارة وكسب المال .
- الحرص على سلامة القيادة وقوتها والإلحاح على مواصفات القائد الجيد الذي يقود قومه إلى الرفعة والازدهار.

وحين نتأمل الصياغة الفنية نجد عدة ظواهر ملموسة أبرزها :

- الأسلوب الإنشائي هو السائد ، وهذا أمر طبيعي يفرضه موضوع الأبيات ذلك أن النصح والتحذير يناسبهما الأساليب الإنشائية ، والتي نلمحها في :

- أبلغ إيادا وخل في سراتهم : أمر غرضه النصح والإرشاد .

يا لهف نفسي إن كانت أموركم

شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا

نداء يفيد الألم والتحسر لما آل إليه حال قومه من الغفلة .

- مالي أراكم نياما في بلهنية ؟ : استفهام يفيد الاستنكار

- فاشفوا غليلي برأي منكم حصد : استفهام يفيد النصح والإرشاد

- صونوا جيادكم واجلوا سيوفكم : أمر يفيد الحث والإرشاد .

- وجددوا للقسي النبل والشرعا : أمر يفيد الحث والإرشاد .

- لا تثمروا المال للأعداء : نهي غرضه التحذير والنصح .

- يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها : نداء غرضه التنبيه والتحذير.

يا قوم إن لكم من إرث أولكم

مجدا أحاذر أن يفنى وينقطعا

نداء : يفيد التنبيه والتحذير والتخويف .

ماذا يرد عليكم عز أولكم

إن ضاع آخره أوذل واتضعا؟

استفهام غرضه النفي .

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا

على نسائكم كسرى وما جمعا

نداء : ونهي للتنبيه والتحذير.

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم

ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا

أمر : غرضه البلاغي النصح والإرشاد .

ومظاهر الجمال في النص نلمحها في :

- شهاب الحرب قد سطعا : تشبيه يفيد التهويل من الحرب وقرب وقوعها .

- قلدوا أمركم رحب الذراع : كناية عن اتساع العلم والمقدرة - عـض مكـروه به : استعارة مكنية تفيد التجسيم وتشخيص المكروه .

- الفناء الذي يجتث أصلكم : استعارة مكنية تفيد التجسيم .

والصور الجمالية قليلة في النص ، وهذا ليس بعيب لأن المجال مجال نصح يناسبه التعبير الحقيقي .

ومن الحِكَم في الأبيات :

- قد ينال الأمن من فزعا .

- إن خير العلم ما نفعا .

ومن المحسنات في الأبيات :

- التضاد في قوله : شتى / اجتمع

- الترادف في قوله : يفنى ، ينقطع

وألفاظ الشاعر مناسبة للفكرة والعاطفة :

فعند تعبيره عن الاستعداد للحرب جاء بالألفاظ المناسبة مثل :

- حصنوا جيادكم .

- اجلوا سيوفكم .

- جددوا للقسي النبل والشرعا .

وعند الحديث عن صفات الفائز تخير الألفاظ المناسبة مثل :

- رحب الذراع .

- بأمر الحر مطلعا .

- ليس يشغله مال ولا ولد .

النص الثالث

الحزن يقلق

لأبي الطيب المتنبي

الحـــزن يقلـــق والتجمـــل يـــردع ... والدمـــع بينهـــما عصي طيـــع
يتنازعـــان دمـــوع عـــين مســـهد ... هذا يجيء بهـــا وهـــذا يرجـــع
النـــوم بعـــد أبـــي شـــجاع نـــافر ... والليل معي والكواكـــب ظلـــع
إني لأجـــبن مـــن فـــراق أحبتـــي ... وتحس نفسي بالحمـــام فأشـــجع
ويزيدني غضـــب الأعـــادي قســـوة ... ويلم بي عتب الصديق فـــأجزع
تصـــفو الحيـــاة لجاهـــل أو غافـــل ... عما مضى فيهـــا ومـــا يتوقـــع
ولمن يغالط فـــي الحقـــائق نفســـه ... ويسومها طل المحـــال فتطمـــع
أين الـــذي الهرمـــان مـــن بنيانـــه ... ما قومه ما يومه ما المصـــرع
تتخلـــف الآثـــار عـــن أصـــحابها ... حينا ويـــدركها الفنـــاء فتتبـــع
لم يرض قلب أبـــي شـــجاع مبلـــغ ... قبل الممات ولم يسعه موضـــع
كنـــا نظـــن ديـــاره مملـــوءة ... ذهبا فمـــات وكـــل دار بلقـــع
وإذا المكـــارم والصـــوارم والقنـــا ... وبنان أعوج كل شـــيء يجمـــع
انمجـــد أخســـر والمكـــارم صـــفقة ... من أن يعيش لها الكريم الأروع
والناس أنزل فـــي زمانـــك منـــزلا ... من أن تعايشهم وقـــدرك أرفـــع
برد حشـــاي إن اســـتطعت بلفظـــة ... فلقد تضـــر إذا تشـــاء وتنفـــع
ما كان منـــك إلـــى خليـــل قبلهـــا ... ما يستراب به ولا مـــا يوجـــع
ولقـــد أراك ومـــا تلـــم ملمـــة ... إلا نفاها عنـــك قلـــب أصـــمع
ويـــد كـــأن قتالهـــا ونوالهـــا ... فرض يحق عليك وهـــو تبـــرع
يـــا مـــن يبـــدل كـــل يـــوم حلـــة ... أني رضـــيت بحلـــة لا تنـــزع
ما زلت تخلعها على مـــن شـــاءها ... حتى لبست اليوم مـــالا تخلـــع

ما زلت تدفع كل أمر فادح ... حتى أتى الأمر الذي لا يدفع

فظللت تنظر لا رماحك شرع ... فيما عراك ولا سيوفك قطع

بأبي الوحيد وجيشه متكاثر ... يبكي ومن شر السلاح الأدمع

وإذا حصلت من السلاح على البكا ... فحشاك رعت به وخدك تقرع

وصلت إليك يد سواء عندها ... ألباز الاشهب والغراب الأبقع

من للمحافل والجحافل والسرى ... فقدت بفقدك نيرا لا يطلع

ومن اتخذت على الضيوف خليفة ... ضاعوا ومثلك لا يكاد يضيع

قبحا لوجهك يا زمان فإنه ... وجه له من كل قبح برقع

أيموت مثل أبي شجاع فاتك ... ويعيش حاسده الخصي الأوكع

أيد مقطعة حوالي رأسه ... وقفا يصيح بها ألا من يصفع

أبقيت أكذب كاذب أبقيته ... وأخذت أصدق من يقول ويسمع

وتركت أنتن ريحة مذمومة ... وسلبت أطيب ريحة تتضوع

فاليوم قر لكل وحش نافر ... دمه وكان كأنه يتطلع

وتصالحت ثمر السياط وخيله ... وأوت إليها سوقها والأذرع

وعفا الطراد فلا سنان راعف ... فوق القناة ولا حسام يلمع

ولى وكل مخالم ومنادم ... بعد اللزوم مشيع ومودع

من كان فيه لكل قوم ملجأ ... ولسيفه في كل قوم مرتع

إن حل في فرس ففيها ربها ... كسرى تذل له الرقاب وتخضع

أو حل في روم ففيها قيصر ... أوحل في عرب ففيها تبع

قد كان أسرع فارس في طعنة ... فرسا ولكن المنية أسرع

لا قلبت أيدي الفوارس بعده رمحا ولا حملت جوادا أربع

أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد، ولد سنة ٣٠٣ هـ ،في قبيلة كندة. قضى شطرًا كبيرًا من حياته في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب . يعدها النقاد أخصب فترات حياته .

والمتنبي أحد أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكناً باللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. حتى قيل عنه : نادرة زمانه، وأعجوبة عصره.

وقد ظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي .

اشتهر بحدة الذكاء وظهرت موهبته الشعرية باكرًا، يقول نقاد الأدب إنه قال الشعر صبياً. فنظم أول أبياته وعمره ٩ سنوات.

كان صاحب كبرياء شجاعا طوحا ومحب للمغامرات. كثير الاعتزاز في شعره بعروبته، والافتخار بنفسه.

شهدت الفترة التي نشا فيها أبو الطيب تفكك الدولة العباسية وتناثر الدويلات الإسلامية التي قامت على أنقاضها. فقد كانت فترة نضج حضاري وتصدع سياسي وتوتر وصراع عاشها العرب والمسلمون. وكانت الخلافة في بغداد قد ضعفت هيبتها ودليل ذلك أن السلطان الفعلي كان في أيدي الوزراء وقادة الجيش ومعظمهم من غير العرب.

ثم ظهرت الدويلات والإمارات المتصارعة في بلاد الشام، وتعرضت الحدود لغزوات الروم والصراع المستمر على الثغور الإسلامية.

ثم ظهرت الحركات الدموية في العراق كحركة القرامطة وهجماتهم على الكوفة.

كما كان لكل وزير ولكل أمير في الكيانات السياسية المتنافسة مجلس يجمع فيه الشعراء والعلماء يتخذ منهم وسيلة دعاية وتفاخر ووسيلة صلة بينه وبين الحكام والمجتمع.

في هذا العالم المضطرب كانت نشأة أبي الطيب، وقد وعى بذكائه الفطري وطاقته المتفتحة حقيقة ما يجري حوله، فأخذ بأسباب الثقافة مستغلاً شغفه في القراءة والحفظ، مما زاد في قوة شخصيته وجعل له شأنا ومكانة في حياته.

اتصل المتنبي بسيف الدولة بن حمدان، أمير وصاحب حلب، سنة ٣٣٧ هـ - وكانا في سن متقاربة - فوفد عليه ومدحه بشعره مشترطًا ألاَّ يقف بين يديه لينشد قصيدته كما كان يفعل الشعراء فأجازله سيف الدولة أن يفعل هذا وأصبح المتنبي من شعراء بلاط سيف الدولة في حلب، وأغدق عليه سيف الدولة منحه وعطاياه وقربه إليه وصار من أخلص خلصائه وكان بينهما مودة واحترام، وخاض معه المعارك ضد الروم، وتعد سيفياته أروع ما كتب من شعر. ثم حدثت بينه وبين سيف الدولة جفوة وسعها وأشعل أوارها كارهوه وكانوا كثرًا في بلاط سيف الدولة.

ازداد أبو الطيب اندفاعًا وكبرياء حتى في حضرة سيف الدولة ، وصار يمدح الأمير ويمجد نفسه ، ويتمادى في ذلك . حتى لقد كان يضع نفسه أحياناً في مساواة الممدوح إن لم يرفعها عليه.

وكثيرًا ما احتمل سيف الدولة هذا الصلف على مضض ، في الوقت الذي كان فيه المتنبي لا يحس مداراة مجالس الملوك والأمراء، إذ كانت طبيعته على سجيتها في كثير من الأحيان.

وبدأ سيف الدولة يتغير في معاملته للمتنبي ، ولم يعد يهتم به ، وأصابته خيبة الأمل لاعتداء ابن خالويه عليه في حضور سيف الدولة حيث رمى دواة الحبر على المتنبي فشجت رأسه وسال الدم منها ، فلم ينتصف له سيف الدولة، ولم يأخذ له حقه ، فأحس بألم عميق وجرح لكرامته .

وزادت حفوته له بفضل كارهي المتنبي ولأسباب غير معروفة قال البعض أنها تتعلق بحب المتنبي المزعوم لخولة شقيقة سيف الدولة التي رثاها المتنبي في قصيدة ذكر فيها حسن مبسمها، وكان هذا مما لا يليق عند رثاء بنات الملوك. انكسرت العلاقة الوثيقة التي كانت تربط سيف الدولة بالمتنبي.

حتى فارق أبو الطيب سيف الدولة وهو غير كاره له، وإنما كره الجو الذي ملأه حساده ومنافسوه من حاشية الأمير.

وارتحل المتنبي إلى مصر التي كان يحكمها كافور الإخشيدي ، فلم يجد عنده ما كان يأمل من مكانة وحظوة ، بل إن وشاة المتنبي كثروا عنده، فهجاهم المتنبي وهجا كافور ومصر هجاء مرا ، ثم ارتحل عن مصر فقد قصد أمراء الشام والعراق وفارس. وبعد عودته إلى الكوفة. زار بلاد فارس، فمر بأرجان، ومدح فيها ابن العميد، وكانت له معه مساجلات. ومدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي في شيراز.

مقتله :

كان المتنبي قد هجا ضبة بن يزيد الأسدي العيني بقصيدة شديدة فلما كان المتنبي عائدًا إلى الكوفة، وكان في جماعة منهم ابنه محسد وغلامه مفلح، لقيه فاتك بن أبي جهل الأسدي، وهو خال ضبّة، وكان في جماعة أيضًا. فاقتتل الفريقان وقُتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول غربيّ بغداد.

قصة قتله أنه لما ظفر به فاتك أراد الهرب فقال له ابنه : اتهرب وأنت القائل :

الخيـــل والليـــل والبيـــداء تعرفنـــي والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرد عليه بقوله قتلتني قتلك الله.

مقاربة النص :

المستوى الفكري:

مناسبة النص :

كتب المتنبي هذه الأبيات رثاء وتفجعا لوفاة فاتك أبي شجاع القائد المصري النبيل . والدي ربطت بينه وبين الشاعر المتنبي علاقات الود والإخاء .

وتعود أصول (أبو شجاع فاتك الكبير) إلى عرق أجنبي، وهو أحد أفذاذ القادة في جيش كافور الإخشيدي، أواسط القرن الرابع للهجرة.

أما نشأته وأصله فيرجع إلى أيام الغزوات العربية للدولة البيزنطية، فقد أخذ وهو صغير مع أخ له وأخت ، في سبي وأسر في موضع قرب حصن كان يعرف باسم « حصن ذي الكلاع ». حين كان المحاربون الروم يدعمون الثغور الشامية بالهجوم على العرب ، فيرد عليهم العرب بمثل ذلك، مترفقين، إذ كانوا كما يشهد التاريخ الشرقي والغربي، أرحم الفاتحين. وهو ماشه دبه المستشرقون الغربيون ، إذ يقول جوستاف لوبون : " لم يعرف التاريخ أرحم فاتحا من العرب".

وكان حظ « فاتك » أن أرسل إلى فلسطين، وهو ناشئ صغير وبيع لرجل من مدينة « الرملة » وكانت الرملة يومئذ بإقطاع الإخشيد، فأعجب بفاتك أحد أعوانه، فأخذه من سيده إذ رأى فيه مخايل النبوغ والقوة ، فأعتقه، وملكه نفسه وجعله في عديد جنده .

ولما اشتد عوده و استوى على سوقه ظهر منه ما أثار إعجاب قادته من كرم النفس وبعد الهمة، فإذا هو يدخل المعركة تلو الأخرى، ويخرج منها محلفرًا منتصرًا وتكرر منه ذلك كثيرًا ، حتى أطلق عليه المعجبون به لقب (فاتك) ، وكان

من إقدامه واندفاعه في الحروب جنونه في القتال، فأطلقوا عليه لقب (المجنون) لا لفقد العقل، وإنما لفقد الخوف، وللتهور والاندفاع بشجاعته المنقطعة النظير.

وكان كافور صديقا لفاتك، إذ عملا معا في خدمة صاحب مصر الإخشيد فكان كافور من مستشاريه المقدمين في قصره، وكان فاتك من القادة المتميزين في الجيش، وجمعت بينهما الصداقة.

ثم توفي الإخشيد ملك مصر، وكان ابنه (طغج) حدثًا صغيرًا، لا يجوز توليه الحكم، فصار كافور وصيا عليه، إذ كان أقرب الحاشية إلى أبيه، وأخلصهم في العمل، ولم يطل الأمر بوصاية كافور على الملك اليتيم، إذ غدا هو الحاكم فوجد فاتك في نفسه، وآثر التجافي بعيدًا عن كافور، فابتعد عن القاهرة، وأقام في بلدة «الفيوم» وما والاها وجعلها منطقة نفوذ له، ولسوء حظ فاتك كانت الفيوم منطقة أمراض موبوءة لا تصلح مسكنا، فمرض فيها واعتلت صحته اعتلالاً كثيرًا حتى أحوجته إلى دخول مصر للمعالجة، فرجع إلى القاهرة، وكان شاعرنا المتنبي يومئذ فيها، يعاني من كافور ورجال قصره ما يعاني من خوفهم منه وحسدهم إياه، لما يتمتع به المتنبي من تاريخ ومن شهرة تسبقه حيث حل أو ارتحل.

وتوضيح ذلك أن المتنبي جاء من حلب من عند سيف الدولة آملاً أن يجد الحفاوة والمكانة اللائقة به عند كافور، وطال انتظاره ولم يحقق ما يأمل، وكثيرًا ما ألمح المتنبي إلى ذلك في شعره، يقول:

أبا المسك هل في الكأس فضل أنالـه
فإني أغنى منذ حين وتشرب

إشارة إلى طول الانتظار، وتراخى كافور في الوقت الذي كان فاتك يعاني من قطيعة كافور هو الآخر.

وكان فاتك موسرًا كريمًا يبذ الجواد بعطاياه، مما أغري شاعرنا المتنبي فراح يمدحه.

وكانت أول قصيدة في مدحه إياه مثل صاعقة نزلت على كافور، إذ جاء من مدحا صادقا نابعا من القلب.

وأكثر الشاعر مدح فاتك القائد، لكثرة ما بلغة من شجاعته وكرمه، لكنه لم يجسر على مدحه خشية من السلطان، وكان فاتك يسال عن أبي الطيب ويسعى للاجتماع به، فقامت المراسلة بينهما بادئة بالسلام والإعجاب، إلى أن التقى أبو الطيب بفاتك بالصحراء ويذكر المؤرخ الأدبي ابن خلكان أن ذلك اللقاء كان مصادفة، ولم يفضح ابن خلكان عن ماهية هذا ، ويبدو أن أبا الطيب بيت مع فاتك أمرا بشأن كافور.

ووصلت هدايا فاتك وأحماله ممثلة في ألف دينار، ثم أعقبها فاتك بهدايا وتحف أخرى بعثت الرضا في نفس أبي الطيب .

وكان لزاما على المتنبي أن يستأذن كافور، إذ كيف يقدم على مدح قائد في جيشه دون إذن منه، فدخل عليه مستأذنا في مدحه.

ولأن كافور كان داهية، ذا مكر وذكاء، فأذن للشاعر في مدح خصمه ومبغضه، وما كان ذلك إلا ليتبين مابين الرجلين (المتنبي وفاتك) من علاقة فكتب لاميته المشهورة في فاتك مطلعها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

ويقول عنه مادحًا :

إذا الملـــك تحلـــت كـــان حليتـــه

مهنـــد واصـــم الكعـــب عســـال

أبو شجاع أبـــو الشـــجعان قاطبـــة

هـــول نمتـــه مـــن الهيجـــاء أهـــوال

ولم يمهل القدر فاتك إذ وافته المنية في ليلة من ليالي شوال سنة خمسين وثلاثمائة، فرثاه المتنبي، وكان قد خرج من مصر وفارق كافورا الإخشيدي، بهذه القصيدة الرائعة التي نحن بصدد تناولها .

والجدير بالذكر أن المتنبي قد رثى ثلاثة شخوص كانوا اعز الدنيا عليه، وهم جدته التي كانت له أمه، ومحبوبته « خولة » أخت سيف الدولة، وفاتك حبيب السلاح والوجود.

وفي هذا النص تظهر لوعة المتنبي وحزنه البالغ لوفاة صديقه الذي أخلص في مودته له ، يبرز ذلك في الأبيات الأولى إذ يقول :

الحـــزن يقلـــق والتجمـــل يـــردع والدمـــع بينهـــما عصـــي طيـــع

يتنازعـــان دمـــوع عـــين مســـهد هذا يجـــيء بهـــا وهـــذا يرجـــع

النـــوم بعـــد أبـــي شـــجاع نـــافر والليل معـــي والكواكـــب ظلـــع

إني لأجـــبن مـــن فـــراق أحبتـــي وتحس نفســـي بالحمـــام فأشـــجع

فهو مهتز غير متماسك تتنازعه الدموع والحزن ، ويخاصم النوم جفنه ويؤرقه فراق الأحبة .

ويشير المتنبي في شعره إلى مكانة فاتك ومنزلته عند الجنود وعامة الشعب وأنه مات في عزه وسلطانه، ورفعة مقامه، في الجيش ، فكان له يوم مأتم حافل

خرج له الأجناد في موكب كالذي نجده في عصرنا، ويبكى عليه الجيش بالدموع اتضح ذلك من قول الشاعر :

بـــأبي الوحيـــد وجيشـــه متكـــاثر

يبكـــي ومـــن شـــر الســـلاح الأدمـــع

من للمحافل والجحافـل والســرى

فقـــدت بفقـــدك نيـــرا لا يطـــلع

ومن اتخذت على الضيوف خليفـة

ضـــاعوا ومثلـــك لا يكـــاد يضـــيع

ثم يعرض المتنبي بكافور متعجبا أن يطول عمر مثل هذا الكافور الأسود ويموت سريعا مثل هذا القائد الشجاع ، يقول :

قبحا لوجهـك يـا زمـان فإنـه

وجـــه لـــه مـــن كـــل قبـــح برقـــع

أيموت مثـل أبـي شـجاع فاتـك

ويعـــيش حاســـده الخصـــي الأوكـــع

أبقيـــت اكـــذب كـــاذب أبقيتـــه

وأخذت اصـدق مـن يقـول ويسـمع

وتركـــت أنـــتن ريحـــة منمومـــة

وســـابت أطيـــب ريحـــة تتضـــوع

لا ينسى شاعرنا أن يتأمل في الموت والحياة، و يجود بحكمته التي عهدناها في شعره ، فيقول :

تصفو الحيـاة لجاهـل أو غافـل

عمـــا مضـــى فيهـــا ومـــا يتوقـــع

ولمن يغالط فـــي الحقـــائق نفســـه

ويومهـــــا طلـــــب المحـــــال فتطمـــــع

انظر إلى الشاعر يختم قصيده بهذه الآهات الوالهة الحزينة فيقول :

فـــاليوم قـــر لكـــل وحـــش نـــافر ... دمـــه وكـــان كأنـــه يتطلـــع

وتصالحت ثمـــر الســـياط وخيلـــه ... وأوت إليهـــا ســـوقها والأذرع

وعفا الطراد فـــلا ســـنان راعـــف ... فوق القنـــاة ولا حســـام يلمـــع

ولـــى وكـــل مخـــالم ومنـــادم ... بعـــد اللـــزوم مشـــيع ومـــودع

من كـــان فيـــه لكـــل قـــوم ملجـــأ ... ولسيفه في كـــل قـــوم مرتـــع

إن حل فـــي فـــرس ففيهـــا ربهـــا ... كسرى تذل له الرقاب وتخضع

أو حـــل فـــي روم ففيهـــا قيصـــر ... أو حل في عـــرب ففيهـــا تبـــع

قد كان أسرع فـــارس فـــي طعنـــة ... فرســـا ولكـــن المنيـــة أســـرع

لا قلبـــت أيـــدي الفـــوارس بعـــده ... رمحا ولا حملت جـــوادا أربـــع

فالوحوش النافرة بعد وفاة فاتك قارة آمنة في مكانها لم يعد هناك من يصطادها ويؤرق مضاجعها ، وعفا وانتهى الصيد فلا سنان ولا سيف ولا رمح بعد ممات فاتك الذي كانت تخضع وتذل له الرقاب إذ كان أسرع الفرسان في الطعن والقتال .

المستوى البنائي :

اعتمد الشاعر في بنية النص على الأسلوب التقرير والإثبات لتأكيد مكانة المرثي ورفعة منزلته فكان الأسلوب الخبري هو السائد نلمحه في معظم الأبيات في قوله :

أبقيـــت أكـــذب كـــاذب أبقيتـــه ... وأخذت أصدق من يقول ويسمع

وتركـــت أنـــتن ريحـــة مذمومـــة ... وسلبت أطيب ريحـــة تتضـــوع

والخبر هنا في البيتين غرضه ذم كافور والتعريض به وبمكانته .

فـــاليوم قـــر لكـــن وحـــش نـــافر دمـــه وكـــان كأنـــه يتطلـــع

وغرض الخبر في هذا البيت تأكيد مكانة فاتك وما كان عليه من شجاعة جعلت الجميع يهابه ، حتى الوحوش صارت في مأمن بعد وفاته .

وقوله :

قد كان أسرع فـارس فـي طعنـة فرسـا ولكـن المنيـة أسـرع

لا قلبـت أيـدي الفـوارس بعـده رمحا ولا حملت جـوادا أربـع

أفـاد الخبر تأكيد مهارة فاتك وسرعته في تسديد الضربات والطعنات فلا فروسية ولا جياد بعد موت فاتك ورحيله .

ومن الأساليب الإنشائية القليلة في النص قوله :

أين الـذي الهرمـان مـن بنيانـه ما قرمه ما يومه ما المصرع ؟

استفهام يفيد التحسر وتعظيم قدر المرثي **وقوله :**

يـا مـن يبـدل كـل يـوم حلـة أني رضـيت بحلـة لا تنـزع

نداء غرضه التحسر وبيان ما كان فيه فاتك من عز وجل . **وقوله :**

من للمحافل والجحافـل والسـري فقدت بفقـدك نيـرا لا يطلـع

استفهام غرضه النفي فلم يعد هناك مثل فاتك لقيادة الجيوش ولا المحافل والمجالس .

وقوله :

أيموت مثـل أبـي شـجاع فاتـك ويعيش حاسده الخصي الأوكـع

استفهام غرضه التفجع والتحسر فالشاعر غير مصدق أن يموت مثل فاتك الشجاع ، ويعيش كافور الحاسد الضعيف .

ومن مظاهر الجمال في الأبيات :

- الحزن والدمع يتنازعان : استعارة مكنية فيها تجسيم للمعنى يبرز مدى الحزن والأسى .
- المكارم صفقة : تشبيه بليغ يبرز قيمة المكارم وكثرتها .
- يبدل كل يوم حلة كناية عن الرفاهية ورغد العيش الذي كان عليه فاتك .

ومن المحسنات البديعية :

الطباق بين :

- عصي ، طيع / أجبن ، أشجع / يجيء ، أرجع / تضر ، تنفع .

والجناس في :

جاهل ، غافل / المحافل والجحافل .

وقد أكثر الشاعر من استخدام صيغة الفعل المضارع إذ وردت أكثر من خمسين مرة والقصد من تكرار وكثرة ورود الأفعال المضارعة هو استمرار وتجدد الحزن .

أما صيغ الفعل الماضي التي وردت في الأبيات فالقصد منها التحسر والحزن.

وقد وفق الشاعر في اختيار بحر الكامل التام بما يضم من تفعيلات كثيرة فأتاح لنفسه مساحة كبيرة لإفراغ أحاسيسه ومشاعره وتوضيح محتوى التجربة كما أن اختيار حرف العين المضمومة رويا للأبيات جاء موفقا مناسبا ما عليه الشاعر من تفجع ولوعة لفراق صديقه .

ويبقى بعد ذلك أن نقول :

- إن شعر أبي الطيب المتنبي كان صورة صادقة لعصره، وحياته، فهو يضع أيدينا على ما كان في عصره من تقلبات ، واضطرابات.
- يضاف إلى ذلك أنه يطلعنا على جوانب كثيرة من حياته المضطربة، وما فيها من طموح وعلم، وسخط ورضا، وحرص على المال.
- ويتجلى في شعره قوة المعاني، وجمال التصوير ، ودقة الألفاظ ، ومتانة الأسلوب .

إنه بحق أمير الشعر في عصره وهو بحق شاعر العرب .

النص الرابع

قلّدتُ جيد المعالي حلية الغزل

محمود سامي البارودي

قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي حِلْيَةَ الْغَزَلِ
وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أُغْنَى عَنِ الْهَزَلِ
يَأْبَى لِيَ الْغَيُّ لا يَمِيلُ بِهِ
عَنْ شِرْعَةِ الْمَجْدِ سِحْرُ الأَعْيُنِ النُّجُلِ
أَهِيمُ بِالْبِيضِ فِي الأَغْمَادِ بَاسِمَةً
عَنْ غِرَّةِ النَّصْرِ ، لا بِالْبِيضِ فِي الكَلَلِ
لَمْ تُلْهِنِي عَنْ طِلابِ الْمَجْدِ غَانِيَةٌ
فِي لَذَّةِ الصَّحْوِ مَا يُغْنِي عَنِ الثَّمَلِ
كَمْ بَيْنَ مُنْتَدَبٍ يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ
وَبَيْنَ مُعْتَكِفٍ يَبْكِي عَلَى طَلَلِ
لَوْلا التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَا ظَهَرَتْ
مَزِيَّةُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَلْيِ وَالْعَطَلِ
فَانْهَضْ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِياً
فَالْبَازُ لَمْ يَأْوِ إِلاَّ عَالِيَ الْقُلَلِ
وَدَعْ مِنَ الأَمْرِ أَدْنَاهُ لأَبْعَدِهِ
فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَشَلِ
قَدْ يَظْفَرُ الْفَاتِكُ الأَلْوَى بِحَاجَتِهِ
وَيَقْعُدُ الْعَجْزُ بِالْهَيَّابَةِ الْوَكَلِ
وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ تَسْلَمْ، فَرُبَّ فَتًى
أَلْقَى بِهِ الأَمْنُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْوَجَلِ

وَلا يغرنـــكَ بشـــرٌ مـــنْ أخـــى ملـــقٍ
فرونقُ الآلِ لا يشفى من الغـــــــــــلِ

لوْ كان يعلمُ مـــا فـــي النـــاس مـــنْ دخـــنٍ
لَباتَ منْ وُدّ ذي القُرْبى علَى دَخَـــــلِ

فَـــلا تَثِـــقْ بِـــوَدادٍ قَبْـــلَ مَعْرِفَـــةٍ
فَالْكُحْلُ أَشْبَهُ فِي الْعَيْنَيْنِ بِالْكَـــحَـــــلِ

وَاخْـــشَ النَّميمَـــةَ ، وَاعلَـــمْ أنَّ قَائلَهَـــا
يصليكَ منْ حرهاَ نـــاراً بـــلاَ شـــــعلِ

كـــمْ فريـــةٍ صـــدعتْ أركـــانَ مملكـــةٍ
وَمَزّقتْ شَمْلَ وُدٍّ غَيْرِ مُنْفَـــصِـــــلِ

فاقبـــلْ وصـــاتي ، وَلا تصـــرفكَ لاغيـــة
عنى ؛ فمـــا كـــلُّ رامٍ مـــنْ بنـــى ثعـــل

إنـــي امـــرؤٌ كفنـــى حلمـــي ، وأدبنـــي
كـــرُّ الجديـــدينِ مـــنْ مـــاضٍ وَمقتبـــلِ

فَمَـــا سَـــرَيْتُ قِنَـــاعَ الْجَلْـــمِ عَـــنْ سَـــفَهٍ
وَلاَ مَسَحْتُ جَبِـــينَ الْعِـــزِّ مِـــنْ خَجَـــلِ

حلبـــتُ أشـــطرَ هـــذا الـــدهرِ تجربـــة
وَذُقْتُ مَا فِيهِ من صَـــابٍ، وَمِـــنْ عَسَـــلِ

فَمَـــا وَجَـــدْتُ عَلَـــى الأَيَّـــامِ بَاقِيَـــةً
أَشْهَى إِلَى الـــنَّفْسِ مِـــنْ حُرِّيَّـــةِ الْعَمَـــلِ

لكننـــا غـــرضٌ للشـــرِّ فـــي زمـــنٍ
أهلُ العُقُـولِ بِـهِ فِـي طَاعَـةِ الْخَمَـلِ

قامـتْ بِـهِ مـنْ رجـالِ السـوءِ طائفـةٌ
أدهى على النفسْ منْ بؤسٍ علـى ثكـلِ

مـنْ كـلِّ وغـدٍ يكـادُ الدسـتُ يدفعـهُ
بُغْضـاً، وَيَلْفِظُـهُ الـدِّيوانُ مِـنْ مَلَـلِ

ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْرُ بَعْـدَ الْعِـزِّ، واضْـطَرَبَتْ
قواعدُ الملكِ ، حتى ظلَّ في خَـلَـلِ

وَأَصْـبَحَتْ دَوْلَـةَ «الْفَسْـطَاطِ» خَاضِـعَةً
بَعْدَ الإباءِ، وَكَانتْ زَهْـرَةَ الـدُّوَلِ

قَـومٌ إذا أبصـروني مقـبلاً وجمـوا
غَيْظاً، وَأَكْبَادُهُمْ تَتْقَـدُّ منْ دَغَـلِ

فَـإِنْ يَكُـنْ سَـاءَهُمْ فَضْـلِي فَـلا عَجَـبٌ
فَالشَّمْسُ وَهيَ ضِيَاءٌ آفَةُ الْمُقَلِ

نزهـتُ نفسـيَ عمـا يـدنيونَ بـهِ
وَنخلةُ الروضِ تأبى شيمةَ الجعَـلِ

بِئسَ العشـيرُ، وبئسـتْ مصـرُ مـنْ بلـدٍ
أضحتْ مناخاً لأهلِ الزورِ وَالخَـطَلِ

أرضٌ تأثـلَ فيهـا الظلـمُ ، وانقـذفتْ
صواعقُ الغدرِ بينَ السهلِ وَالجَـبَلِ

وَأصْـبَحَ النَـاسُ فِـي عَمْيَـاءَ مُظْلِمَـةٍ
لَمْ يَخْطُ فِيهَا امْرُؤٌ إلا عَـلَى زَلَـلِ
لَـمْ أدْرِ مَـا حَـلَّ بالأبْطَـالِ مِـنْ خَـوَرٍ
بَعْدَ الْمِراسِ، وَبالأسْيَافِ مِنْ فُـلَلِ
أصَـوَّحَتْ شَـجَرَاتُ الْمَجْـدِ، أمْ نَضَـبَتْ
غدرُ الحميةِ حتى ليسَ منْ رجُـلِ ؟
لاَ يَـدفعونَ يَـداعنهمْ ، وَ لَـوْ بلغَـتْ
مسَّ العفافةِ منْ جبنٍ ، وَمِـنْ خَـزلِ
خَـافُوا الْمَنِيَّـةَ ، فَاحْتَـالُوا، وَمَـا علِمُـوا
أنَّ المنيـَـةَ لاَ ترتَـدُّ بالحيـَـلِ
فَفِـيمَ يَـتَّهِمُ الإنْسَـانُ خالِقَـهُ
وَكلُّ نفسٍ لهـا قيـدٌ مـنَ الأجَـلِ ؟
هيهـاتَ يلقـى الفتـى أمنـاً يلـذُّ بـهِ
مَا لَمْ يَخُضْ نَحْوَهُ بَحْـراً مِـنَ الْوَهَـلِ
فَمَـا لَكُـمْ لاَ تَعَـافُ الضَّـيْمَ أنْفُسُـكُمْ
وَلاَ تَزُولُ غَوَاشِيكُمْ مِنَ الْكَسَـلِ؟
وَتِلْـكَ مِصْـرُ الَّتِـي أفْنَـى الْجِـلاَدُ بِهَـا
لَفِيـفَ أسْـلاَفِكُمْ فِـي الأعْصُـرِ الأوَلِ
قَـومٌ أقَـروا عمـادَ الحـقِّ وامتلكـوا
أزِمَّةَ الْخَلْقِ منْ حَافٍ وَمُنْتَعِـلِ

جَنَـوْا ثِمَـارَ الْعُـلاَ بِـالْبِيضِ، وَاقْتَطَفُـوا
مِنْ بينِ شوكِ العوالي زهـــرةَ الأملِ
فَأَصْـبَحَتْ مِصْـرُ تَزْهُـو بَعْـدَ كُـدْرَتِهَا
فِي يَانِعٍ مِنْ أَسَاكِيبِ النَّدَى خَـضِلِ
لَـمْ تَنْبُـتِ الأَرْضُ إِلاَّ بَعْـدَمَا اخْتَمَـرَتْ
أَقطارها بدمِ الأعناقِ وَالقُـلَلِ
شَـنُّوا بِهَـا غَـارَةً أَلْقَـتْ بِرَوْعَتِهَـا
أَمناً يولفُ بينَ الـذئبِ وَالحمَـلِ
حَتَّـى إِذَا أَصْـبَحَتْ فِـي مَعْقِـلٍ أُشُـبٍ
يردُّ عنها يدَ العادي منَ المَـلَلِ
أَخنَـى الزمَـانُ علـى فرسـانها ، فغـدتْ
منْ بعدِ منعتها مطـروقةَ السبلِ
فَـأَيُّ عَـارٍ جلبـتمْ بـالخمولِ علـى
ما شادهُ السيفُ منْ فخرٍ على زحـلِ
إِنْ لَـمْ يَكُـنْ لِلْفَتَـى عَـقْلٌ يَعِـيشُ بِـهِ
فَإِنَّمَا هُـوَ مَعْـدُودٌ مِـنَ الْهَمَـلِ
فبادروا الأمـرَ قبـلَ الفـوتِ ، وانتزعـوا
شِـكَالَةَ الرَّيْـثِ، فَالـدُّنْيَا مَـعَ الْعَجَـلِ
وَ قلـدوا أمـركمْ شـهماً أخـا ثقـةٍ
يكونُ رداءً لكـمْ فـي الحـادثِ الجلـلِ

ماضي البصيرةِ ، غلابٌ ، إذا اشتبهتْ

مسالكُ الرأي صادَ البازَ بالحجلِ

إنْ قالَ برّ ، وَ إنْ ناداهُ منتصرٌ

لَبَّى ، وإنْ هَمَّ لَمْ يَرْجِعْ بِلا نَفَلِ

يجلو البديهةَ باللفظِ الوجيزِ إذا

عزَّ الخطابُ ، وَ طاشتْ أسهمُ الجدلِ

وَلاَ تَلَجُّوا إذَا مَا الرَّأيُ لاَحَ لَكُمْ

إنَّ اللجاجةَ مدعاةٌ إلى الفشلِ

قدْ يدركُ المرءُ بالتدبيرِ ما عجزتْ

عَنْهُ الْكُماةُ ، ولَمْ يَحْمِلْ عَلَى بَطَلِ

هَيْهاتَ، مَا النَّصْرُ في حَدِّ الأسِنَّةِ ، بَلْ

بقوةِ الرأي تمضي شوكةُ الأسلِ

وطَالِبُوا بِحُقُوقٍ أصْبَحَتْ غَرَضاً

لِكُلِّ مُنْتَزِعٍ سَهْماً، وَمُخْتَتِلِ

وَلاَ تخافوا نكالاً فيهِ منشوكمْ

فالحوتُ في اليمِّ لا يخشى منَ البللِ

عيشُ الفتى في فناءِ الذلّ منقصةٌ

وَالموتُ في العز فخرُ السادةِ النبلِ

لا تتركوا الجدَّ أوْ يبدو اليقينُ لكمْ

فالجدُّ مفتاحُ بابِ المطلبِ العضلِ

طـــوراً عراكـــاً ، وأحيانـــا مياســـرةً

رياضةُ المهـرِ بـينَ العنـفِ وَالمهـلِ

حتـــى تعـــودَ ســـماءُ الأمـــنِ ضـــاحيةً

وَيَرْقُلَ الْعَدْلُ فِـي ضَـافٍ مِـنَ الْحُلَـلِ

هـذِي نَصِـيحَةُ مَـنْ لاَ يَبْتَغِـي بَـدَلاً

بِكُمْ، وهلْ بَعْدَ قَوْمِ الْمَرْءِ مِـنْ بَـدَلِ؟

أسْـهَرْتُ جَفْنِـي لَكُـمْ فِـي نَظْـمِ قَافِيَـةٍ

مَا إِنْ لَهَا فِي قَـدِيمِ الشِّـعْرِ مِـنْ مَثَـلِ

كالبرق في عجـلٍ ، والرعـدِ فـي زجـلٍ

وَالْغَيْثِ فِي هَطَـلٍ، وَالسَّـيْلِ فـي هَمَـلِ

غَـرَّاءُ، تَعْلَقُهَـا الأَسْـمَاعُ مِـنْ طَـرَبٍ

وَتَسْـتَطِيرُ بِهَـا الأَلْبَـابُ مِـنْ جَـذَلِ

حَوْرِيَّـةٌ ، صَـاغَهَا فِكْـرٌ أَقَـرَّ لَـهُ

بِـالْمُعْجِزَاتِ قَبِيـلُ الإِنْـسِ وَالْخَبَـلِ

إِنْ أَخْلَقَـتْ جِـدَّةُ الأَشْـعَارِ أَنَّهَـا

لَفْـظٌ أَصِـيلٌ، وَمَعْنًـى غَيْـرُ مُنْتَحَـلِ

تفنى النفـوسُ ، وتبقـى وَهـيَ ناضـرةٌ

علـى الـدُّهُورِ بِقَـاءَ السَّـبْعَةِ الطُّـوَلِ

البارودي فارس السيف والقلم

ولد في ٦ أكتوبر ١٨٣٩م في مدينة دمنهور بمحافظة البحيرة لأبوين من أصل شركسي. وكان أجداده ملتزمي إقطاعية إيتاي البارود بمحافظة البحيرة لقب البارودي نسبة إليها وحمل أبناؤه هذا اللقب.

نشأ البارودي في أسرة عريقة على جانب كبير من الجاه واليسار والسلطان، فأبوه حسن حسين بك البارودي من أمراء المدفعية ومديرا (بربر) و(دنقلة) في عهد محمد علي باشا والي مصر، وكان جده لأبيه عبد الله بك الجرسكي كشافا في عهد محمد علي، وكان مراد بن يوسف شاويش- أحد أجداد الشاعر- ملتزما في العصر العثماني لبلدة (آيتاي البارود) إحدى بلاد محافظة البحيرة، وكان أحداده يرقون بنسبهم إلى المماليك حكام مصر وكان الشاعر شديد الاعتزاز بهذا النسب في شعره وفي كل أعماله.

دراسته:

تلقى البارودي دروسه الأولى فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ النحو والصرف، ودرس شيئا من الفقه والتاريخ والحساب، حتى أتم دراسته الابتدائية في مدرسة المبتديان وكانت خاصة بالأسر المرموقة وأولاد الأكابر ومع أنه كان من أسرة مرموقة فإن والدته قد جلبت له المعلمين لتعليمه في البيت. ثم انضم وهو في الثانية عشرة من عمره إلى المدرسة الحربية ثم التحق بالمرحلة التجهيزية من المدرسة الحربية المفروزة وانتظم فيها يدرس فنون الحرب وعلوم الدين واللغة والحساب والجبر، بدأ يظهر شغفًا بالشعر العربي وشعرائه

الفحول، حتى تخرج في المدرسة المفروزة عام ١٨٥٥ م برتبة "باشجاويش" ولم يستطع استكمال دراسته العليا، والتحق بالجيش السلطاني .

حياته العملية :

عمل بعد ذلك بوزارة الخارجية وسافر إلى الأستانة عام ١٨٥٧م، وهناك تمكن من إتقان التركية والفارسية ومطالعة آدابهما، وحفظ كثيرًا من أشعارهما وأعانته إجادته للغة التركية والفارسية على الالتحاق بقلم كتابة السر بنظارة الخارجية التركية . ثم عينه الخديوي إسماعيل في إدارة المكاتبات بين مصر والآستانة.

كان أحد أبطال الثورة العرابية الشهيرة ضد الخديوي توفيق بالاشتراك مع أحمد عرابي والتي اندلعت عام ١٨٨١م.

وقد أسندت إليه رئاسة الوزارة الوطنية عام ١٨٨٢م ، وتآمر الخديوي مع الانجليز مما أدى إلى عدم نجاح ثورة عرابي ، وقررت السلطات الحاكمة نفيه مع زعماء الثورة العرابية إلى جزيرة (سرنديب) (سريلانكا).

حياته في المنفى :

ظل في المنفى بمدينة كولومبو أكثر من سبعة عشر عاماً يعاني الوحدة والمرض والغربة عن وطنه، وكتب في هذه الفترة روائع قصائده التي تفيض ألما وحنينا إلى الوطن، ويرثي من مات من أهله وأحبابه وأصدقائه، ويتذكر أيام شبابه ولهوه وما آل إليه حاله.

وفي المنفى شغل البارودي نفسه بتعلم الإنجليزية حتى أتقنها، وانصرف إلى تعليم أهل الجزيرة اللغة العربية ليعرفوا لغة دينهم الحنيف، وإلى اعتلاء المنابر في مساجد المدينة ليُفقّه أهلها شعائر الإسلام.

ومضت به أيامه في المنفى ثقيلة واجتمعت عليه علل الأمراض، وفقدان الأهل والأحباب، فساءت صحته، بعد أن بلغ الستين من عمره اشتدت عليه وطأة المرض وضعف بصره، ولما صدر العفو عنه عاد إلى وطنه مصر عام ١٨٩٩م.

وفاته:

بعد عودته إلى القاهرة ترك العمل السياسي، وفتح بيته للأدباء والشعراء يستمع إليهم، ويسمعون منه، وكان على رأسهم شوقي وحافظ ومطران، وإسماعيل صبري، فتأثروا به وساروا على هديه في شعره، فخطوا بالشعر خطوات واسعة وأُطلق عليهم "مدرسة النهضة" أو "مدرسة الأحياء".

ثم وافته المنية في ديسمبر ١٩٠٤ م.

المقاربة النصية :

المستوى الفكري:

مناسبة النص :

عاش البارودي حياة حافلة مليئة بالأحداث والوقائع ، فقد كان عسكريا فارسا مغوارا له بطولات وإغارات ، تناولها وتحدث عنها فيما كتب من شعر وقد علمتنا الحياة أن النجاح لثمن ، والنبوغ له ضريبة لابد أن يدفعها الإنسان الناجح ، فكما كان للبارودي نجاحات وصداقات كان له أعداء وحاقدون وشانئون وهذه واحدة من قصائده ، يتحدث فيها عن أعدائه والحاقدين عليه ، يصفهم ويعدد مساوئهم ، ويناشدهم النزاهة ، وفي الوقت نفسه يطلب العدل في الأحكام ،ويذم المسئولين المتسلطين الذين أضروا بمصر وشعبها ، في قصيدة رويها حرف اللام وهي أول قصيدة في لاميات البارودي .

أما المحتوى فيبرز في :

- بداية النص – كما هو واضح – غزلية ، لكنه غزل غير تقليدي ، أو قل إنه غزل من نوع خاص يميزه البارودي ، إذ يبين أنه لم تفتنه غادة كعوب ، ولا فتاة حسناء ، بل تفتنه المعالي والأمجاد وما يلزمها من شجاعة ومقدرة وإقدام ، لذا يقلد جيدها حلية جميلة ، ولم تحد به الأعين النجل عن طلب المجد والسعي إليه هيامه بالسيوف البيض في أغمادها ، لا بالنساء البيض في خدورها ، ولم تشغله عن طلاب المجد غانية ، ولم ينس الشاعر – كعادته – أن يتوج هذا الغزل الفريد بحكمة

رائعة من حكمه التي عرف بها ، يبين فيها أنه لولا التفاوت بين الخلق في طباعهم ما عرف الجيد من الرديء.

قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي حِلْيَةَ الْغَزَلِ
وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أُغْنَى عَنِ الْهَزَلِ
يَأْبَى لِيَ الْغَيُّ لا يَمِيلُ بِهِ
عَنْ شِرْعَةِ الْمَجْدِ سِحْرُ الأَعْيُنِ النُّجُلِ
أُهِيمُ بِالْبِيضِ فِي الأَغْمَادِ بَاسِمَةً
عَنْ غُرَّةِ النَّصْرِ، لا بِالْبِيضِ فِي الكَلَلِ
لَمْ تُلْهِنِي عَنْ طِلابِ الْمَجْدِ غَانِيَةٌ
فِي لَذَّةِ الصَّحْوِ مَا يُغْنِي عَنِ الثُّمَلِ
كَمْ بَيْنَ مُنْتَدِبٍ يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ
وَبَيْنَ مُعْتَكِفٍ يَبْكِي عَلَى طَلَلِ
لَوْلا التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَا ظَهَرَتْ
مَزِيَّةُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَلْيِ وَالْعَطَلِ

وها هو يقف معلما صقلته التجارب وتصاريف الزمان ، لينصح ويرشد ويوجه ، داعيا إلى النهوض طلبا للمجد ، والابتعاد عن الدنايا ، والحذر من المتلونين الأدعياء ، وألا يثق الإنسان في ود امرئ إلاَّ بعد تجربته واختباره ، والابتعاد عن النميمة لأن عواقبها وخيمة .

فَانْهَضْ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِياً
فَالْبَازُ لَمْ يَأْوِ إِلاَّ عَالِيَ الْقُلَلِ

ودعْ مـــنَ الأمـــرِ أدنـــاهُ لأبعـــدهِ
في لجةِ البحرِ ما يغنى عنِ الوشـــلِ
قـــدْ يظفـــرُ الفاتـــكُ الألـــوى بحاجتـــهِ
ويَقْعُدُ الْعَجْـزُ بِالْهَيَّابَـةِ الْوَكَـــــلِ
وكُـــنْ علَـــى حَـــذَرٍ تَسْـــلَمْ، فَـــرُبَّ فَتـــىً
ألقى بهِ الأمنُ بينَ اليأسِ والوجـــــلِ
ولا يغرنـــكَ بشـــرٌ مـــنْ أخـــى ملـــقٍ
فرونـــقُ الآلِ لا يشـــفى مـــنَ الغـــللِ
لوْ كان يعلمُ مـــا فـــي النـــاس مـــنْ دخـــنٍ
لَبَاتَ مِنْ وُدِّ ذِي الْقُرْبَى علَـــى دَخَـــلِ
فَـــلا تَثِـــقْ بِـــوُدادٍ قَبْـــلَ مَعْرِفَـــةٍ
فَالْكُحْـــلُ أشْـــبَهُ فِـــي الْعَيْنَـــيْنِ بِالْكَحَـــلِ
واخْـــشَ النَّميمَـــةَ ، واعلَـــمْ أنَّ قَائلَهَـــا
يصليكَ منْ حرهاَ نـــاراً بـــلاَ شـــعلِ
كـــمْ فريـــةٍ صـــدعتْ أركـــانَ مملكـــةٍ
ومَزَّقَتْ شَمْلَ وُدٍّ غَيْرِ مُنْفَـــصِـــــلِ
فاقبـــلْ وصـــاتي ، ولا تصـــرفكَ لاغيـــةٌ
عنى ؛ فمـــا كـــلُّ رامٍ مـــنْ بنـــى ثعـــلِ

ولأن شاعرنا فارس فإنه يذكرنا بعظيم صفاته في معرض الفخر والاعتزاز فهو حليم صاحب أدب ينم عن عراقة أصل ليس به سفه ولا طيش ، مجرب صقلته

الخطوب وتجارب الحياة ويبين لنا أنه من واقع خبرته وتجربته لم يجد أبقى وألذ من العمل والاجتهاد ولكننا نعيش في زمن ضيع الناس أنفسهم بخمولهم وتكاسلهم.

إنـــي امـــرؤٌ كفنـــى حلمـــي ، وأبنـــى
كـــرُّ الجديـــدينِ مـــنْ مـــاضٍ ومقتبـــلِ
فمَـــا سَـــرَيْتُ قِنَـــاعَ الْحِلْـــمِ عَـــنْ سَـــفَهٍ
ولاَ مَسَحْتُ جَبِـــينَ الْعِـــزِّ مِـــنْ خَجَـــلِ
حلبـــتُ أشـــطرَ هـــذا الـــدهرِ تجربـــةً
وَذُقْتُ مَا فِيهِ مِن صَـــابٍ، وَمِـــنْ عَسَـــلِ
فَمَـــا وَجَـــدْتُ عَلَـــى الأيَّـــامِ بَاقِيَـــةً
أَشْهَى إِلَى الـــنَّفْسِ مِـــنْ حُرِّيَّـــةِ الْعَمَـــلِ
لكننـــا غـــرضٌ للشـــرِّ فـــي زمـــنٍ
أَهْلُ الْعُقُـــولِ بِـــهِ فِـــي طَاعَـــةِ الْخَمَـــلِ

ويصل الشاعر إلى لب الموضوع والفكرة الرئيسة التي يريد أن يجلي جوانبها وهي ماثلة في ما آل إليه حال البلاد في مصر آنذاك . فقد تولى أمر العباد نفر ضعاف النفوس لم يحسنوا قيادتها . فساء الحال . واختلطت الأمور . وعجيب الأمر أنهم يحقدون على الشاعر يكاد كل واحد منهم يتميز غيظا كلما وقعت عينه على شاعرنا ، ولا عجب في ذلك لأن الشاعر مختلف عنهم ، وشتان ما بينه وبينهم من طباع وصفات . ويبين الشاعر دهشته مما حل بمصر ، وما أصابها من ضعف وخور على يد هؤلاء ، وهي البلاد التي كان يشار إليها بالبنان في النهوض والقوة وكم حازت من المجد أعلى الرتب حتى دار الزمان دورته فأخنى على فرسانها

فصارت نهبا ومكانا مستباحا طالما العودة إلى العقل والاحتكام إليه والعمل بمقتضاه ، ويتوج هذه الفكرة بحكمة مضمونها أن الإنسان بغير عقل لا قيمة له وأنظر إلى الأبيات التي تحمل هذا المضمون .

قامتْ بهِ منْ رجالِ السوءِ طائفةٌ
أدهى على النفسْ منْ بؤسٍ على ثكلِ

منْ كلّ وغدٍ يكادُ الدستُ يدفعهُ
بُغْضاً، ويَلْفِظُهُ الدّيوانُ منْ مَلَلِ

ذلّتْ بِهِمْ مِصْرُ بَعْدَ الْعِزّ، واضْطَرَبَتْ
قواعدُ الملكِ ، حتى ظلّ في خللِ

وأصْبَحَتْ دَوْلَةُ «الْفُسْطَاطِ» خَاضِعَةً
بَعْدَ الإباءِ، وَكَانَتْ زَهْرَةَ الدُّوَلِ

قومٌ إذا أبصروني مقبلاً وجموا
غَيْظاً، وَأكْبَادُهُمْ تَتْقَدُّ منْ دَغَلِ

فَإِنْ يَكُنْ سَاءَهُمْ فَضْلِي فَلا عَجَبٌ
فَالشّمْسُ وَهيَ ضِيَاءٌ آفَةُ الْمُقَلِ

نزهتُ نفسيَ عما يدنيونَ بهِ
وَنخلةُ الروضِ تأبى شيمةَ الجعلِ

بئسَ العشيرُ، وبئستْ مصرُ منْ بلدٍ
أضحتْ مناخاً لأهلِ الزورِ وَالخطلِ

أرضٌ تآثـلَ فيهـا الظلـمُ ، وانقـذفتْ

صواعقُ الغـدرِ بـينَ السـهلِ والجبـلِ

وأصـبَحَ النَّـاسُ فـي عمْيَـاءَ مُظْلِمَـةٍ

لَمْ يَخْـطُ فيهَـا امْـرُؤٌ إلا علَـى زلَـلِ

لَـمْ أدْرِ مَـا حَـلَّ بالأبْطَـالِ مِـنْ خَـوَرٍ

بَعْدَ الْمِراسِ، وَبالأسْيَافِ مِنْ فَـلَـلِ

أصَـوَّحَتْ شَـجَرَاتُ الْمَجْـدِ، أمْ نَضَـبَتْ

غدرُ الحميةِ حتى ليسَ منْ رجـلِ ؟

لاَ يـدفعونَ يـداعنهمْ ، وَلـوْ بلغـتْ

مسَّ العفافةِ منْ جـبنٍ ، وَمـنْ خـزلِ

خَـافُوا الْمَنِيَّـةَ، فَاحْتَـالُوا، وَمَـا علِمُـوا

أنَّ المنيـةَ لاَ تَرتـدُّ بالحيـلِ

فَمِـيمَ يَـتَّهِمُ الإنْسَـانُ خالِقَـهُ

وكلُّ نفسٍ لهـا قيـدٌ مـنَ الأجـلِ ؟

هيهـاتَ يلقـى الفتـى أمنـاً يلـذُّ بـهِ

مَا لَمْ يَخُضْ نَحْوَهُ بَحْـراً مِـنَ الْوَهَـلِ

فَمَـا لَكُـمْ لاَ تَعَـافُ الضَّـيْمَ أنْفُسُـكُمْ

وَلاَ تَـزُولُ غَوَاشِـيكُمْ مِـنَ الْكَسَـلِ؟

وَتِلْـكَ مِصْـرُ الَّتِـي أفْنَـى الْجِـلاَدُ بِهَـا

لَفِيـفَ أسْـلاَفِكُمْ فِـي الأعْصُـرِ الأُوَلِ

قــومٌ أقــروا عمــادَ الحــقّ وامتلكــوا
أزِمّــةَ الْخَلْــق مِــنْ حَــافٍ وَمُنْتَعِــلِ
جَنَــوْا ثِمَــارَ الْعُــلاَ بــالْبِيضِ، وَاقْتَطَفُــوا
مِنْ بينِ شوكِ العوالي زهــــرةَ الأملِ
فَأصْــبَحَتْ مِصْــرُ تَزْهُــو بَعْــدَ كُــدْرَتِهَا
فِي يَانِعٍ مِنْ أَسَاكِيبِ النُّدَى خَــــضِلِ
لَــمْ تَنْبُــتِ الأَرْضُ إلاَّ بَعْــدَمَا اخْتَمَــرَتْ
أقطارها بدمِ الأعناقِ وَالقــــــــلِ
شَــنُّوا بِهَــا غَــارَةً أَلْقَــتْ بِرَوْعَتِهَــا
أمناً يولفُ بينَ الذئبِ وَالحمــــــــلِ
حَتَّــى إِذَا أَصْــبَحَتْ فِــي مَعْقِــلٍ أَشِــبٍ
يردُّ عنهــا يــدَ العــادي مــنَ المــلِ
أَخنــى الزمــانُ علــى فرســانها ، فغــدتْ
منْ بعدِ منعتها مطــــــروقةَ السبلِ
فــأيُّ عــارٍ جلبــتمْ بــالخمولِ علــى
ما شادهُ السيفُ منْ فخرٍ على زحــــلِ
إن لم يكن للفتى عــقل يعــــيش بــه
فإنمــا هــو معــدود مــن الهمــل

ويختتم البارودي قصيده ناصحا باختيار القائد الملهم الذي يصلح لقيادة هذه المرحلة ، وأن يتوخى فيه الشعب صفات : الشهامة وسلامة البصيرة والقوة والصدق وحضور البديهة وصواب الرأي ومضاء العزم . كما يطلب من بني وطنه أن يطالبوا بحقوقهم المشروعة ، وألاَّ يخافوا ، وأن يجدوا لتنهض حياتهم ، نأمل كل هذه المعاني في هذه الأبيات :

فبادروا الأمرَ قبلَ الفوتِ ، وانتزعوا
شِكَالَةَ الرَّيْثِ، فالدُّنْيَا مَعَ الْعَجَلِ

وقلدوا أمركمْ شهماً أخا ثقةٍ
يكونُ رداءً لكمْ في الحادثِ الجللِ

ماضي البصيرةِ ، غلاباً ، إذا اشتبهتْ
مسالكُ الرأي صادَ البازُ بالحجلِ

إنْ قالَ برَّ، وإنْ ناداهُ منتصرٌ
لَبَّى ، وإنْ هَمَّ لَمْ يَرْجِعْ بِلا نَفَلِ

يجلو البديهةَ باللفظِ الوجيزِ إذا
عزَّ الخطابُ ، وطاشتْ أسهمُ الجدلِ

وَلاَ تَلَجُّوا إِذَا مَا الرَّأْيُ لاَحَ لَكُمْ
إنَّ اللجاجةَ مدعاةٌ إلى الفشلِ

قدْ يدركُ المرءُ بالتدبيرِ ما عجزتْ
عنْهُ الْكُماةُ ، ولَمْ يَحْمِلْ عَلَى بطَلِ

هيْهاتَ، مَا النَّصرُ فِـي حـد الأسـنَّةِ، بَـلْ

قـوة الـرأي تمضـي شـوكةُ الأسـلِ

وَطَـالِبُوا بِحُقُـوقَ أصـبحتْ غَرَضـاً

لكُـلِّ مُنْتَـزِعٍ سَـهْماً، ومُخْتَبِـلِ

ولا تخـافوا نكـالا فيـه منشـؤكم

فالحوت في اليم لا يخشـى مـن البلـل

عـيش الفتـى فـي فنـاء الـذل منقصـة

والموت في العز فخـر السـادة النبـل

لا تتركـوا الجـد أو يبـدو اليقـين لكـم

فالجد مفتـاح بـاب المطلـب العضـل

طـورا عراكـا ، وأحيانـا مياسـرة

رياضة المهـر بـين العنـف والمهـل

حتـى تعـود سـماء الأمـن ضـاحية

ويرفل العدل فـي ضـاف مـن الحلـل

المستوى البنائي :

تتراوح أساليب الشاعر بين الخبر والإنشاء، فمن الأساليب الإنشائية قوله :

- فانهض إلى صهوات المجد .
- ودعْ من الأمرِ أدناهُ لأبعده .
- وكُنْ على حذرٍ تسلَمْ.
- واخْشَ النَّميمَة، واعلَمْ أنَّ قائلَها .

يصليك منْ حرها ناراً بلاَ شـــعلِ .

وهي أساليب أمر الغرض منها النصح والإرشاد ، وهي كثيرة في طول النص وعرضه تبرز من خلالها خبرة الشاعر ودرايته بمواطن الأمور.

ومن أساليب النهي في الأبيات :

- لا يغرنكَ بشرٌ منْ أخي ملقٍ .
- ولاَ تَلَجُوا إذَا مَا الرُّأيُ لاَحَ لَكُمْ .
- لاَ تخافوا نكالاً فيهِ منشوكمْ .
- لا تتركوا الجدَّ أوْ يبدو اليقينُ لكمْ .

أساليب نهي قصد بها التحذير والنصح

ومن أساليب الاستفهام في الأبيات :

- فما لكم لا تعاف الضيم أنفسكم ولا تزول غواشيكم من الكسل ؟

(استفهام غرضه الاستنكار ورفض حلة الرضا بالضيم والتكاسل في قومه)

- أصَوُحَتْ شَجَرَاتُ المَجْدِ، أمْ نَضَبَتْ .

غدرُ الحميةِ حتى ليسَ منْ رجلِ ؟

(استفهام يتعجب فيه الشاعر من تخاذل قومه في طلب المجد وضعف حميتهم) .

أما ما في الأبيات من أساليب خبرية فمعظمها لتقرير حالة الضعف التي وجدها في قومه وتقاعسهم عن طلب العلا ، والدعوة إلى اليقظة والنهوض .

ومظاهر الجمال في الأبيات كثيرة منها :

- قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي : استعارة مكنية فيها تشخيص .
- حلية الغزل : تشبيه بليغ .
- أكبادهم تنقد من دغل : كناية عن شدة الحقد والبغضاء .

ومن المحسنات :- الطباق بين :

الجد ، الهزل .

الحلي ، العطل .

ماض ، مقبل .

ومنه الترادف في :

صدعت ، مزقت

جذوا ، اقتطعوا

ومنه حسن التقسيم في قوله .

كالبرق في عجل ، والرعد في زجل

والغيث في هلل ، والسيل في همل

السمات التي تميز شعر البارودي :

البارودي من الرواد الأوائل الذين نهضوا بالقصيدة العربية ، إذ انتقل بها من عصور الضعف والتخلف ، وأعاد لها قوتها ورونقها مثلما كانت عليه في عصور القوة في العصر العباسي وما قبله مستلهما عظمة الشعراء القدامى

كالمتنبي والبحتري وأبي العلاء المعري وابن الرومي وغيرهم فاستحق أن يكون رائد التجديد والنهوض بالقصيدة العربية

وقد جاء شعره ، رصينا قويًا في عباراته وألفاظه ، متينا في أساليبه ، صافيا في أخيلته ، شريفا في معانيه ، مشرقا في ديباجته ، جزلا في تراكيبه ويلاحظ في شعره أنه :

- ✓ ارتقى بالأسلوب من الركاكة والابتذال إلي صحة التركيب وقوته .
- ✓ خلص شعره من البديع المتكلف الذي يثقل الأسلوب ويغض من قيمته إلى أسلوب متحرر من الصنعة والزينة المتكلفة المقوتة .
- ✓ موضوعات شعره بعيدة عن الموضوعات التقليدية التي يغلفها التكرار والجدب والسطحية فقد جدد فيها ونوع وناقش ما يمس الأحاسيس الذاتية ، والحياة المعاصرة ، والقضايا القومية ، والسياسية والوطنية وأحداث العصر.
- ✓ وتحول البارودي بالتصوير والخيال من الضيق والسطحية إلي التحليق في فضاءات رحبة من التصوير المبدع الخلاب وما يشتمل عليه من التشبيهات والاستعارات والكنايات التي تناسب الفكرة والعاطفة .
- ✓ ونهض بالأحاسيس والمشاعر مبتعدا بها عن البرود والجفاف ، إلي الحيوية والقوة والحركة والذاتية، محافظا على وحدة الوزن ومتوخيا القافية ، ذات الرنين القوي الأخاذ .

النص الخامس

إلى عرفات الله يا خير زائر

لأمير الشعراء أحمد شوقي

إلـــى عرَفـــاتِ اللـــهِ يـــا خَيـــرَ زائـــرٍ
" عَلَيـــكَ سَـــلامُ اللهِ فـــي عَرَفـــاتِ
ويَـــومَ تُـــولّى وَجهَـــةَ البَيـــتِ ناضِـــرًا"
"لاوَســـيمَ مَجاليـــل البِشـــر وَالقَسَـــماتِ
علـــى كُـــلِّ أُفـــقٍ بِالحِجـــازِ مَلائِـــكٌ "
" تَـــزُفُّ تَحايـــا اللهِ وَالبَرَكـــاتِ
إذا حُـــدِيَت عـــيسُ المُلُـــوكِ فَـــإنَّهُمْ"
"لَعيسِـــكَ فـــي البَيـــداءِ خَيـــرُ حُـــداةِ
لَـــدى البـــابِ جِبريـــلُ الأمـــينُ بِراحِـــهِ"
"رَســـائِلُ رَحمانِيَّـــةُ النَفَحـــاتِ
وَفـــي الكَعبَـــةِ الغَـــرّاءِ رُكـــنٌ مُرَحَّـــبٌ"
"بِكَعبَـــةِ قُصّـــادٍ وَرُكـــنِ عُفـــاةِ
وَمـــا سَـــكَبَ الميـــزابُ مـــاءً وَإنَّمـــا"
"أفـــاضَ عَلَيـــكَ الأجـــرَ وَالرَحَمـــاتِ
وَزَمـــزَمُ تَجـــري بَـــينَ عَينَيـــكَ أعيُنًـــا"
"مِـــنَ الكَـــوثَرِ المَعســـولِ مُنفَجِـــراتِ
وَيَرمـــونَ إبلـــيسَ الـــرَجيمَ فَيَصـــطَلي"
"وَشـــانيكَ نيرانًـــا مِـــنَ الجَمَـــراتِ
يُحَيّيـــكَ طَـــهَ فـــي مَضـــاجِعِ طُهـــرِهِ"
"وَيَعلَـــمُ مـــا عالَجـــتَ مِـــن عَقَبـــاتِ
وَيُثنـــي عَلَيـــكَ الراشِـــدونَ بِصـــالِحٍ"
"وَرُبَّ ثَنـــاءٍ مِـــن لِســـانِ رُفـــاتِ

لَـكَ الـدينُ يـا رَبُّ الحجـيجِ جمعـتهُمْ"
"لِبَيـتِ طهـورِ السـاحِ وَالعَرَصـاتِ
أرى النـاسَ أصـنافًا وَمِـن كُـلِّ بُقعَـةٍ"
"إليـكَ انتَهَـوا مِـن غُربَـةٍ وَشَتـاتِ
تَسـاوَوا فَـلا الأنسـابُ فيهـا تَفـاوُتٌ"
"لَـدَيكَ وَلا الأقـدارُ مُختَلِفـاتِ
عَنَـت لَـكَ فـي التُـربِ المُقَـدَّسِ جَبهَـةٌ"
"يَـدينُ لَهـا العـاتي مِـنَ الجَبَهـاتِ
مُنَـوَّرَةٌ كَالبَـدرِ شَـمّاءُ كَالسُـها"
" وَتُخفَضُ فـي حَـقٍّ وَعِنـدَ صَـلاةِ
وَيـا رَبِّ لَـو سَـخَّرتَ ناقَـةَ صـالِحٍ"
"لِعَبـدِكَ مـا كانَـت مِـنَ السلِسـاتِ
وَيـا رَبِّ هَـل سَـيّارَةٌ أو مَطـارَةٌ"
"فَيَـدنو بَعيـدُ البيـدِ وَالفَلَـواتِ
وَيـارَبِّ هَـل تُغنـي عَـنِ العَبـدِ حَجَّـةٌ"
" وَفي العُمـرِ مـا فيـهِ مِـنَ الهَفَـواتِ
وَتَشـهَدُ مـا آذَيـتُ نَفسًـا وَلَـم أُضِـر"
" وَلَم أُبـغِ فـي جَهـري وَلا خَطَرلتـي
وَلا غَلَبَتنـي شِـقوَةٌ أو سَـعادَةٌ"
"عَلـى حِكمَـةٍ آتَيتَنـي وَأَنـاةِ
وَلا جـالَ إلا الخَيـرُ بَـينَ سَـرائِري"
" لَـدى سُـدَّةٍ خَيرِيَّـةِ الرَغَبـاتِ

وَلا بِـــتُّ إلا كَـــابنِ مَـــريَمَ مُشـــفِقًا"
"عَلَـــى حُسُّـــدي مُســـتَغفِرًا لِعِـــداتي
وَلا حُمِّلَـــت نَفـــسٌ هَـــوىً لِبِلادِهـــا"
"كَنَفسِـــيَ فـــي فِعلـــي وَفـــي نَفَثـــاتي
وَإِنّـــي وَلا مَـــنٌّ عَلَيـــكَ بِطاعَـــةٍ"
" أُجِلُّ وَأُغلـي فـي الفُـروضِ زَكـاتي
أُبَلِّـــغُ فيهـــا وَهـــيَ عَـــدلٌ وَرَحمَـــةٌ"
"وَيَترُكُهـــا النُسّـــاكُ فـــي الخَلَـــواتِ
وَأَنـــتَ وَلِـــيُّ العَفـــوِ فَـــامحُ بِناصِـــعٍ"
" مِنَ الصَفحِ ما سَوَّدتُ مِـن صَـفَحاتي
وَمَـــن تَضـــحَكِ الـــدُنيا إِلَيـــهِ فَيَغتَـــرِر"
"يَمُـــت كَقَتيـــلِ الغيـــدِ بِالبَسَـــماتِ
وَرَكِـــبَ كَإِقبـــالِ الزَمـــانِ مُحَجَّـــلٍ"
"بِكَـــريمِ الحَواشـــي كـــابِرِ الخُطُـــواتِ
يَسـيرُ بِـأَرضٍ أَخرَجَـت خَيـرَ أُمَّـةٍ"
"وَتَحـتَ سَـماءِ الـوَحيِ وَالسُـوَراتِ
يُفـيضُ عَلَيهـا الـيُمنَ فـي غَدَواتِـهِ"
" وَيُضفي عَلَيها الأَمـنَ فـي الرَوَحـاتِ
إِذا زُرتَ يـا مَـولايَ قَبـرَ مُحَمَّـدٍ"
"وَقَبَّلـتَ مَثـوى الأَعظَـمِ العَطِـراتِ
وَفاضَـت مَـعَ الـدَمعِ العُيـونُ مَهابَـةً"
" لِأَحمَـدَ بَـينَ السِـترِ وَالحُجُـراتِ

وَأشـــرقَ نـــورٌ تَحـــتَ كُـــلِّ ثنيَّـــةٍ
" وَضـــاعَ أريـــجٌ تَحـــتَ كُـــلِّ حَصـــاةِ
لِمُظهِـــرِ ديـــنِ اللهِ فـــوقَ تَنوفَـــةٍ"
" وَبـــاني صُـــروحِ المجـــدِ فـــوقَ فَـــلاةِ
فَقُـــلْ لِرَســـولِ اللهِ يـــا خَيـــرَ مُرسَـــلٍ"
"أُبَشِّـــكَ مـــا تَـــدري مِـــنَ الحَسَـــراتِ
شُـــعوبُكَ فـــي شَـــرقِ الـــبِلادِ وَغَربِهـــا"
" كَأصحابِ كَهـفٍ فـي عَميـقِ سُـباتِ
بِأيمـــانِهِمْ نـــورانِ ذِكـــرٌ وَسُـــنَّةٌ"
"فَمـــا بـــالُهُمْ فـــي حالِـــكِ الظُّلمـــاتِ
وَذَلِـــكَ ماضـــي مَجـــدِهِمْ وَفَخـــارِهِمْ"
"فَمـــا ضَـــرَّهُمْ لَـــو يَعمَلـــونَ لآتـــي
وَهَـــذا زَمـــانٌ أَرضُـــهُ وَسَـــماؤُهُ"
"مَجـــالٌ لِمِقـــدامٍ كَبيـــرِ حَيـــاةِ
مَشـــى فيـــهِ قَـــومٌ فـــي السَّماءِ وَأَنشَـــؤوا"
"بَـــوارِجَ فـــي الأَبـــراجِ مُمتَنِعـــاتِ
فَقُـــلْ رَبِّ وَفِّـــقْ لِلعَظـــائِمِ أُمَّتـــي"
"وَزَيِّـــنْ لَهـــا الأَفعـــالَ وَالعَزَمـــاتِ

أحمد شوقي.. أمير الشعراء

هو أحمد شوقي علي أحمد شوقي المولود بحي الحنفي بالقاهرة في أكتوبر ١٨٧٠م لأب شركسي وأم من أصول يونانية، وكانت جدته لأمه تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل، وعلى جانب من الغنى والثراء، فتكفلت بتربية حفيدها ونشأ معها في القصر، ولما بلغ الرابعة من عمره التحق بكُتّاب الشيخ صالح فحفظ قدرًا من القرآن وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة المبتديان الابتدائية، وأظهر فيها نبوغًا واضحًا كوفئ عليه بإعفائه من مصروفات المدرسة وانكب على دواوين فحول الشعراء حفظًا واستظهارًا، فبدأ الشعر يجري على لسانه.

ثم التحق بمدرسة الحقوق سنة ١٨٨٥م، وانتسب إلى قسم الترجمة الذي قد أنشئ بها حديثًا، وفي هذه الفترة ظهرت موهبة شوقي الشعرية ولفتت نظر أستاذه الشيخ "محمد البسيوني"،مدرس البلاغة في مدرسة الحقوق فرأى فيه شاعرية ونبوغا ، فشجّعه ، وبلغ من إعجابه بموهبة تلميذه أنه كان يعرض عليه قصائده قبل أن ينشرها في جريدة الوقائع المصرية.

والتحق شوقي بعد تخرجه في مدرسة الحقوق بقصر الخديوي توفيق الذي ما لبث أن أرسله على نفقته الخاصة إلى فرنسا لدراسة القانون، حتى حصل على إجازة الحقوق ثم مكث بعدها عدة أشهر في فرنسا في دراسة الأدب الفرنسي والوقوف على إنتاج كبار الكتاب والشعراء.

ثم عاد شوقي إلى مصر فعيّنه الخديوي عباس حلمي في وظيفة بقسم الترجمة في القصر، توثّقت خلالها علاقته بالخديوي الذي رأى في شعره عونًا له في صراعه مع الإنجليز، فقرّبه إليه وأعلى منزلته، وخصّه الشاعر العظيم بمدائحه في غدوه ورواحه، ولما خلع الإنجليز عباس الثاني عن عرش مصر، وأعلنوا الحماية عليها سنة (١٩٤١م)، وولّوا حسين كامل سلطنة مصر، طلبوا من الشاعر مغادرة البلاد، فاختار النفي إلى برشلونة في إسبانيا، وأقام مع أسرته في ضاحية فلدريرا في برشلونة.

وفي المنفى في إسبانيا تعلم لغتها، وأنفق وقته في قراءة كتب التاريخ خاصة تاريخ الأندلس، وعكف على قراءة عيون الأدب العربي قراءة متأنية، وزار آثار المسلمين وحضارتهم في اشبيلية وقرطبة وغرناطة وتذكر حضارة العرب ومجدهم الداثر فسجله شعرًا، وفاضت نفسه حنينا إلى وطنه مصر التي يعشقها فبثها لواعج الشوق وتباريح الجوى شعرا رقيقا تغنت به الأجيال من بعده كما نظم إسلامياته الرائعة، في مدح الرسول ﷺ والتي تعد من أبدع شعره قوة في النظم، وصدقًا في العاطفة، وجمالاً في التصوير، وتجديدًا في الموضوع، ومن أشهر قصائده "نهج البردة" التي عارض فيها البوصيري في بردته ويلحق بها الهمزية النبوية المشهورة.

كما اتجه شوقي إلى الحكاية على لسان الحيوان، وبدأ في نظم هذا الجنس الأدبي منذ أن كان طالبًا في فرنسا؛ ليتخذ منه وسيلة فنية يبث من خلالها نوازعه الأخلاقية والوطنية والاجتماعية، ويوقظ الإحساس بين مواطنيه بمآسي الاستعمار ومكائده. وقد صاغ شوقي هذه الحكايات بأسلوب سهل جذاب.

ثم صدر العفو عن شوقي فعاد إلى الوطن عام ١٩٢٠م)، واستقبله الشعب استقبالاً رائعًا واحتشد الآلاف لتحيته. وكان على رأس مستقبليه الشاعر الكبير "حافظ إبراهيم".

عاد شوقي فوجد الحركة الوطنية على أشدها فمال إلى جانب الشعب،وشارك في ثورته بشعره وتغنّى بعواطف قومه وعبّر عن آمالهم في التحرر والاستقلال والنظام النيابي والتعليم، ولم يترك مناسبة وطنية إلا سجّل فيها مشاعر الوطن وما يجيش في صدور أبنائه من آمال.

وكان للتاريخ الفرعوني وأمجاد مصر النصيب الأوفى في شعره فنظم قصائد عن النيل والأهرام وأبي الهول وتغنى بأمجاد مصر.

كما تناول شوقي قضايا العرب ومعاركهم ضد المستعمر، فنظم في "نكبة دمشق" وفي "نكبة بيروت" وفي ذكرى استقلال سوريا وذكرى شهدائها إمارة الشعر:

علا نجم شوقي بعد المنفى وصار شاعر الأمة المُعبر عن قضاياها، لا تفوته مناسبة وطنية إلا شارك فيها بشعره، وقابلته الأمة بكل تقدير وأنزلته منزلة عالية وبايعه شعراؤها بإمارة الشعر سنة ١٩٢٧م في حفل أقيم بدار الأوبرا ، وأعلن حافظ إبراهيم باسمهم مبايعته بإمارة الشعر.

مسرحيات شوقي:

كتب شوقي مسرحيات من التاريخ المصري والعربي القديم : "مصرع كليوباترا "و"قمبيز"، "مجنون ليلى"، "عنترة". وأخرى من التاريخ المصري العثماني وهي "علي بك الكبير". وله مسرحيتان هزليتان، هما: "الست هدي"، و"البخيلة."

كما كتب مسرحية "أميرة الأندلس" نثرا، والتي تعلقها أو أحد أبطالها البارزين هو الشاعر المعتمد بن عباد.

ثم وافته المنية عام ١٩٣٢ تاركًا تراثًا شعريًا ضخمًا تتغنى به الأجيال.

المقاربة النصية

المستوى الفكري :

- مناسبة النص :

نظم أمير الشعراء أحمد شوقي قصيدة (إلى عرفات الله) تهنئة للخديوي عباس حلمي الثاني بعد عودته من أداء فريضة الحج ، وهي بمثابة اعتذار من شوقي للخديوي ، ذلك أنه (الخديوي) دعاه إلى أداء فريضة الحج معه ، ولكنه لم يذهب فكتب له هذه الأبيات معتذرًا ، وقد قبل اعتذاره لما كان يتمتع به من منزلة عند الخديوي .

يبدأ شوقي قصيده محييا الخديوي وكل حاج زار البيت الحرام مشيرًا إلى ما يتنزل على الحجيج من رحمات في تلك البقاع الطاهرة من المعمورة ، إذ يقول :

إلى عَرَفاتِ اللهِ يا خَيرَ زائِرٍ
"عَلَيكَ سَلامُ اللهِ في عَرَفاتِ
وَيَومَ تُوَلّى وُجهَةَ البَيتِ ناضِرًا"
"وَسيمَ مَجالي البِشرِ وَالقَسَماتِ
عَلى كُلِّ أُفقٍ بِالحِجازِ مَلائِكٌ"
"تَزُفُّ تَحايا اللهِ وَالبَرَكاتِ

إذا حُـــدِيَت عـــيسُ المُلـــوكِ فـــإنَّهُمْ"
"لِعِيسِـــكَ فـــي البَيـــداءِ خَيـــرُ حُـــداةِ
لَـــدى البـــابِ جبريـــلُ الأمـــينُ بِراحِـــهِ"
"رَســـــائِلُ رَحمانِيَـــــةُ النَفَحـــــاتِ

ثم يتناول شوقي الحديث عن مناسك الحج ويصف الأماكن الطاهرة فهذه الكعبة الجميلة الغراء ترحب بزائريها في طهر وجلال . وزمزم بمائها العذب السائغ تفيض سلسلاً زلالاً لزوار بيت الله الحرام . ومحمد ﷺ يرحب بالحجيج الوافد إليه . إذ جمعهم المولى عزوجل على الرحاب المقدسة العامرة . تأمل ذلك كله في الأبيات التالية :

وَفـــي الكَعبَـــةِ الغَـــرّاءِ رُكـــنٌ مُرَحِّـــبٌ"
"بِكَعبَـــةِ قُصّـــادٍ وَرُكـــنِ عُفـــاةِ
وَمـــــا سَـــــكَبَ الميـــــزابُ مـــــاءً
وَإنَّما "أُفاضَ عَلَيـــكَ الأجـــرَ وَالرَحَمـــاتِ
وَزَمـــزَمُ تَجـــري بَـــينَ عَينَيـــكَ أعيُنًـــا"
"مِـــنَ الكَـــوثَرِ المَعســـولِ مُنفَجِـــراتِ
وَيَرمـــونَ إبلـــيسَ الـــرَجيمَ فَيَصـــطَلي"
"وَشـــانيكَ نيرانًـــا مِـــنَ الجَمَـــراتِ
يُحَيّيـــكَ طَـــهَ فـــي مَضـــاجِعِ طُهـــرِهِ
"وَيَعلَـــمُ مـــا عالَجـــتَ مِـــن عَقَبـــاتِ
وَيُثنـــي عَلَيـــكَ الراشِـــدونَ بِصـــالِحٍ"
"وَرُبَّ ثَنـــاءٍ مِـــن لِســـانِ رُفـــاتِ

لَـــكَ الـــدينُ يـــا رَبَّ الحَجـــيجِ جَمعـــتَهُمْ
"لِبَيـــتِ طُهـــورِ الســـاحِ وَالعَرَصـــاتِ

ويتحدث شاعرنا عن توافد الحجيج ، وأنهم تجمعوا من جهات متفرقة في مكان تتساوى فيه الأقدار ، الغني والفقير ، والقوي والضعيف ، والسيد والمسود كلهم سواء أمام عظمة خالق الأرض والسماء ، **تدل على هذه المعاني الأبيات** التالية :

أرى النـــاسَ أصـــنافًا وَمِـــن كُـــلِّ بُقعَـــةٍ
"إِلَيـــكَ انتَهَـــوا مِـــن غُربَـــةٍ وَشَـــتاتِ
تَســـاوَوا فَـــلا الأَنســـابُ فيهـــا تَفـــاوُتٌ
"لَـــدَيكَ وَلا الأَقـــدارُ مُختَلِفـــاتِ
عَنَـــت لَـــكَ فـــي التُـــربِ المُقَـــدَّسِ جَبهَـــةٌ
"يَـــدينُ لَهـــا العـــاتي مِـــنَ الجَبَهـــاتِ
مُنَـــوِّرَةٌ كَالبَـــدرِ شَـــمّاءُ كَالسُـــها
وَتُخفَـــضُ فـــي حَـــقٍّ وَعِنـــدَ صَـــلاةِ
وَيـــا رَبِّ لَـــو سَـــخَّرتَ ناقَـــةَ صـــالِحٍ
"لِعَبـــدِكَ مـــا كانَـــت مِـــنَ السَلَســـاتِ
وَيـــا رَبِّ هَـــل سَـــيّارَةٌ أَو مَطـــارَةٌ
"فَيَـــدنو بَعيـــدُ البيـــدِ وَالفَلَـــواتِ

ويتساءل الشاعر في تضرع وخوف هل حجة المرء كافية عاصمة له وفي عمره ما فيه من الخطايا والهفوات ؟ ثم يشهد الله أنه متسبب في إيداء أحد ولم يحمل إلاَّ الخير للناس جميعا طالبًا منه العفو والغفران في أرض أخرجت خير أمة للناس يعلي قدرها وحي وسورات تتنزل من سماوات العلي الأعظم جل شانه في علاه . يقول :

وَيـا رَبِّ هَـل تُغنـي عَـنِ العَبـدِ حَجَّـةٌ"
"وَفـي العُمـرِ مـا فيـهِ مِـنَ الهَفَـواتِ
وَتَشـهَدُ مـا آذَيـتُ نَفسًـا وَلَـم أَضبِـر"
"وَلَم أَبـغِ فـي جَهـري وَلا خَطَراتـي
وَلا غَلَبَتـي شَهـوَةٌ أَو سَـعادَةٌ"
"عَلـى حِكمَـةٍ آتَيتَنـي وَأَنـاةِ
وَلا جـالَ إِلا الخَيـرُ بَـينَ سَـرائِري"
"لَـدى سُـدَّةِ خَيرِيَّـةِ الرَغَبـاتِ
وَلا بِـتُّ إِلا كَـابنِ مَـريَمَ مُشـفِقًا"
"عَلـى حُشـدي مُسـتَغفِرًا لِعِـداتي
وَلا حُمِّلَـت نَفـسٌ هَـوىً لِبِلادِهـا
"كَنَفسـيَ فـي فِعلـي وَفـي نَفثَـاتي
وَإِنّـي وَلا مَـنٌّ عَلَيـكَ بِطاعَـةٍ"
"أُجِـلُّ وَأُغلـي فـي الفُـروضِ زَكـاتي
أُبَلِّـغُ فيهـا وَهـيَ عَـدلٌ وَرَحمَـةٌ"
"وَيَترُكُهـا النُسّـاكُ فـي الخَلَـواتِ

وأنتَ وليُّ العفوِ فاسحْ بناصعٍ
" منَ الصفحِ ما سَوّدتْ من صَفحاتي
ومَن تضحكِ الدنيا إليهِ فيغتَرر"
"يَمُتْ كقتيلِ الغيدِ بالبَسماتِ
وركّبَ كإقبالِ الزمانِ مُحجَّلِ"
"كريمِ الخواشي كابرِ الخطُواتِ
يَسيرُ بأرضٍ أخرجَتْ خيرَ أمّةٍ"
"وتحتَ سماءِ الوحيِ والسُوراتِ

ويختم أمير الشعراء قصيده طالبا من الخديوي ومن الحجيج عندما يقبلون مثوى النبي الخاتم - ﷺ - يطلب منهم أن يرفعوا شكواه إلى الله مما آل إليه حال المسلمين جميعا في شرق البلاد وغربها من فرقة وضعف وتخلف عن ركب الحضارة ، وقد عزلوا عن العالم من حولهم ، كأصحاب الكهف وقنعوا بنومهم وتخلفهم عن ركب الحضارة ، علما بأنهم يمتلكون أسلحة التقدم والرخاء متمثلة في القرآن كتاب الله المنزل من السماء وفي السنة النبوية المطهرة ، وهو إذ يرفع هذه الشكوى على الله عزوجل ، فإنه يدعوه أن يوفق أمته لعظائم الأمور ، ويهيئ لها من أمرها رشدًا ، يقول :

إذا زُرتَ يا مَولايَ قبرَ مُحمّدٍ"
"وقبّلتَ مثوى الأعظمِ العطِراتِ
وفاضَتْ معَ الدمعِ العُيونُ مَهابةً"
"لأحمدَ بينَ السترِ والحُجُراتِ

وَأشـــرقَ نـــورٌ تحـــتَ كُـــلِّ ثَنِيَّـــةٍ"

"وَضـــاعَ أريـــجٌ تحـــتَ كُـــلِّ حَصـــاةٍ

لِمُظهِـــرِ ديـــنِ اللهِ فَـــوقَ تَنوفَـــةٍ"

"وَبـــاني صُـــروحِ المَجـــدِ فَـــوقَ فَـــلاةٍ

فَقُـــل لِرَســـولِ اللّـــهِ يـــا خَيـــرَ مُرسَـــلِ"

"أُبَثُّـــكَ مـــا تَـــدري مِـــنَ الحَسَـــراتِ

شُـــعوبُكَ فـــي شَـــرقِ الـــبِلادِ وَغَربِهـــا"

" كَأصحابِ كَهـفٍ فـي عَميـقِ سُـباتِ

بِأيمـــانِهِمْ نـــورانِ ذِكـــرٌ وَسُـــنَّةٌ"

"فَمـــا بـــالُهُمْ فـــي حالِـــكِ الظُلُمـــاتِ

وَذَلِـــكَ ماضـــي مَجـــدِهِمْ وَفَخـــارِهِمْ"

"فَمـــا ضَـــرَّهُمْ لَـــو يَعمَلـــونَ لآتـــي

وَهَـــذا زَمـــانٌ أرضُـــهُ وَسَـــماؤُهُ"

"مَجـــالٌ لِمِقـــدامٍ كَبيـــرِ حَيـــاةٍ

مَشـــى فيـــهِ قَـــومٌ فـــي السَـــماءِ وَأنشَـــؤوا"

"بَـــوارِجَ فـــي الأبـــراجِ مُمتَنِعـــاتِ

فَقُـــل رَبِّ وَفِّـــق لِلعَظـــائِمِ أُمَّتـــي"

"وَزَيِّـــن لَهـــا الأفعـــالَ وَالعَزَمـــاتِ

المستوى البنائي :

الأساليب الخبرية هي السائدة في الأبيات ، ذلك لأن الشاعر في مجال الوصف والإعجاب بعظمة الأماكن المقدسة ، ومن هذه الأساليب الخبرية قول الشاعر:

وَفي الكَعبَةِ الغَرّاء رُكنٌ مُرَحَّبٌ"
"بِكَعبَةِ قُصّادٍ وَرُكنِ عُفاةِ
وَزَمزَمُ تَجري بَينَ عَينَيكَ أعيُنًا"
"مِنَ الكَوثَرِ المَعسولِ مُنفَجِراتِ

الغرض من الخبر هنا الإشادة بعظمة الكعبة وترحيبها بزائريها ، وبعذوبة ماء زمزم

ومن الخبر قوله :

تَساوَوا فَلا الأنسابُ فيها تَفاوُتٌ"
"لَدَيكَ وَلا الأقدارُ مُختَلِفاتِ

غرض الخبر تأكيد مساواة الحجيج بين الناس جميعا .

ومنه قوله :

شُعوبُكَ في شَرقِ البِلادِ وَغَربِها"
"كَأصحابِ كَهفٍ في عَميقِ سُباتِ

يفيد هذا الخبر بيان مدى غفلة المسلمين وتأخرهم عن ركب الحضارة والتقدم.

ومن الأساليب الإنشائية في الأبيات :

- يا خير زائر : نداء يفيد التنبيه وتعظيم زوار بيت الله الحرام .

وقوله :

- هل تغني عن العبد حجة . استفهام غرضه النفي .

وقوله :

فقـــــل رب وفـــــق للعظـــــائم أمتـــــي

وزيـــــن لهـــــا الأفعـــــال والعزمـــــات

أمر يفيد الالتماس والطلب ، وفي البيت نداء غرضه التضرع والدعاء.

ومن مظاهر الجمال في الأبيات :

وَمَـــن تَضـــحَكِ الـــدُنيا إِلَيـــهِ فَيَغتَـــرِر"

"يَمُـــت كَقَتيـــلِ الغيـــدِ بِالبَسَـــماتِ

تشبيه تمثيلي يبرز عاقبة من يغتر بالدنيا وما فيها من متاع وقوله :

- وفي الكعبة الغراء ركن مرحب .

استعارة مكنية تفيد عظمة الكعبة وما تتمتع به من طهر وجلال ومكانة.

وقوله :

شـــعوبك فـــي شـــرق الـــبلاد وغربهـــا

كأصـــحاب كهـــف فـــي عميـــق ســـبات

تشبيه يبرز مدى ضعف وتخاذل الشعوب الإسلامية.

ومن المحسنات البديعية : الطباق بين :

- ناصع ، سودت .
- أرض ، سماء .
- شرق ، غرب .

السمات التي تميز شعر شوقي :

شوقي من رواد المدرسة الكلاسيكية الاتباعية . فهو يسير في فلك البارودي ويلاحظ في شعره :

- جزالة اللفظ وقوة المعني
- الالتزام بوحدة الوزن والقافية .
- صوره الجمالية تقليدية منتزعة من البيئة ، وكان ذا حس لغوي مرهف يحرص على موسيقية الأبيات ، يدقق في اختيار الألفاظ ، فجاء شعره لحنًا صافيًا ونغمًا رائعًا استحق به أن يلقب أمير الشعراء .

النص السادس

كم ذا بكابد عاشقٌ وبلاقي

للشاعر: حافظ إبراهيم

كَـــم ذا يُكابِـــدُ عاشِـــقٌ ويُلاقـــي
فـــي حُـــبِّ مِصـــرَ كَثيـــرَةِ العُشّـــاق
إِنّـــي لأَحمِـــلُ فـــي هَـــواكِ صَـــبابَةً
يـــا مِصـــرُ قَـــد خَرَجَـــتْ عَـــنِ الأَطـــواق
لَهفـــي عَلَيـــكِ مَتَـــى أَراكِ طَليقَـــةً
يَحمـــي كَـــريمَ حِمـــاكِ شَـــعبٌ راقـــي
كَلِـــفٌ بِمَحمـــودِ الخِـــلالِ مُتَـــيَّمٌ
بِالبَـــذلِ بَـــينَ يَـــدَيكِ وَالإِنفـــاق
إِنّـــي لَتُطرِبُنـــي الخِـــلالُ كَريمَـــةً
طَـــرَبَ الغَريـــبِ بِأَوبَـــةٍ وَتَلاقـــي
وَتَهُزُنـــي ذِكـــرى المُـــروءَةِ وَالنَـــدى
بَـــينَ الشَـــمائِلِ هِـــزَّةَ المُشـــتاق
مـــا البابِلِيَّـــةُ فـــي صَـــفاءِ مِزاجِهـــا
وَالشَـــربُ بَـــينَ تَنـــافُسٍ وَسِـــباق
وَالشَـــمسُ تَبـــدو فـــي الكُئـــوسِ وَتَختَفـــي
وَالبَـــدرُ يُشـــرِقُ مِـــن جَبـــينِ الســـاقي
بِأَلَـــذَّ مِـــن خُلُـــقٍ كَـــريمٍ طـــاهِرٍ
قَـــد مازَجَتـــهُ سَـــلامَةُ الأَذواق
فَـــإِذا رُزِقـــتَ خَليقَـــةً مَحمـــودَةً
فَقَـــدِ اِصـــطَفاكَ مُقَسِّـــمُ الأَرزاق
فَالنـــاسُ هَـــذا حَظُّـــهُ مـــالٌ وَذا
عِلـــمٌ وَذاكَ مَكـــارِمُ الأَخـــلاق

وَالمـــالُ إن لَـــم تَـــخرهُ مُحصَـــناً
بِـــالعِلمِ كـــانَ نِهايَـــةَ الإمـــلاق

وَالعِلـــمُ إن لَـــم تَكتَنِفـــهُ شَـــمائِلٌ
تُعلِيـــهِ كـــانَ مَطِيَّـــةَ الإخفـــاق

لا تَحسَـــبَنَّ العِلـــمَ يَنفَـــعُ وَحـــدَهُ
مـــا لَـــم يُتَـــوَّج رَبُّـــهُ بِخَـــلاق

كَـــم عـــالِمٍ مَـــدَّ العُلـــومَ حَبـــائِلاً
لِوَقيعَـــةٍ وَقَطيعَـــةٍ وَفِـــراق

وَفَقيـــهِ قَـــومٍ ظَـــلَّ يَرصُـــدُ فِقهَـــهُ
لِمَكيـــدَةٍ أَو مُســـتَحَلِّ طَـــلاق

يَمشـــي وَقَـــد نُصِـــبَت عَلَيـــهِ عِمامَـــةٌ
كَـــالبُرجِ لَكِـــن فَـــوقَ تَـــلٍّ نِفـــاق

يَدعونَـــهُ عِنـــدَ الشِـــقاقِ وَمـــا دَرَوا
أَنَّ الَّـــذي يَـــدعونَ خِـــدنُ شِـــقاق

وَالطَبيـــبِ قَـــومٍ قَـــد أَحَـــلَّ لِطِبِّـــهِ
مـــا لا تُحِـــلُّ شَـــريعَةُ الخَـــلاق

قَتَـــلَ الأَجِنَّـــةَ فـــي البُطـــونِ وَتـــارَةً
جَمَـــعَ الـــدَوانِقَ مِـــن دَمِ مُهـــراق

أَغلـــى وَأَثمَـــنُ مِـــن تَجـــارِبِ عِلمِـــهِ
يَـــومَ الفَخـــارِ تَجـــارِبُ الخَـــلاق

وَمُهَنـــدِسٍ لِلنيـــلِ بـــاتَ بِكَفِّـــهِ
مِفتـــاحُ رِزقِ العامِـــلِ المِطـــراق

تَتَـــدى وتَتَـــبَسْ لِلخَلائِـــقِ كَفُّـــهُ
بِالمـــاءِ طَـــوعَ الأصـــفَرِ البَـــرّاقِ
لا شَـــيءَ يَلْـــوي مِـــن هَـــواهُ فَحَـــدُّهُ
فـــي السَـــلبِ حَـــدُّ الخـــائِنِ السَـــرّاقِ
وَأَديـــبِ قَـــومٍ تَســـتَحِقُّ يَمينُـــهُ
قَطـــعَ الأَنامِـــلِ أَو لَظـــى الإِحـــراقِ
يَلهـــو وَيَلعَـــبُ بِـــالعُقولِ بَيانُـــهُ
فَكَأَنَّـــهُ فـــي السِـــحرِ رُقيَـــةُ راقـــي
فـــي كَفِّـــهِ قَلَـــمٌ يَمُـــجُّ لُعابُـــه
سُـــمّاً وَيَنفُثُـــهُ عَلـــى الأَوراقِ
يَـــرِدُ الحَقـــائِقَ وَهـــيَ بـــيضٌ نُصَّـــعٌ
قُدسِـــيَّةٌ عُلويَّـــةُ الإِشـــراقِ
فَيَرُدُّهـــا ســـوداً عَلـــى جَنَباتِهـــا
مِـــن ظُلمَـــةِ التَمويـــهِ أَلـــفُ نِطـــاقِ
عَرِيَـــت عَـــنِ الحَـــقِّ المُطَهَّـــرِ نَفسُـــهُ
فَحَياتُـــهُ ثِقَـــلٌ عَلـــى الأَعنـــاقِ
لَـــو كـــانَ ذا خُلُـــقٍ لأَســـعَدَ قَومَـــهُ
بِبَيانِـــهِ وَيَراعِـــهِ السَـــبّاقِ
مَـــن لـــي بِتَربِيَـــةِ النِســـاءِ فَإِنَّهـــا
فـــي الشَـــرقِ عِلَّـــةُ ذَلِـــكَ الإِخفـــاقِ
الأُمُّ مَدرَسَـــةٌ إِذا أَعـــدَدتَها
أَعـــدَدتَ شَـــعباً طَيِّـــبَ الأَعـــراقِ

الأُمُّ رَوضٌ إن تَعَهَّـــــــدهُ الحَيـــــــا
بِـــــالريِّ أورقَ أيمـــــا ايـــــراق
الأُمُّ أســـــــتاذُ الأَســـــــاتِذةِ الأُلـــــى
شَـــغَلَت مَـــآثِرُهُم مَـــدى الآفـــاق
أنـــا لا أقـــولُ دَعـــوا النِســـاءَ سَـــوافِراً
بَـــينَ الرِجـــالِ يَجُلْـــنَ فـــي الأَســـواق
يَـــدرُجنَ حَيـــثُ أَرَدنَ لا مِـــن وازِعٍ
يَحـــذَرنَ رَقيبَتَـــهُ وَلا مِـــن واقـــي
يَفعَلْـــنَ أفعـــالَ الرِجـــالِ لَواهِيـــاً
عَـــن واجِبـــاتِ نَـــواعِسِ الأَحـــداق
فـــي دورِهِـــنَّ شُـــؤونُهُنَّ كَثيـــرَةٌ
كَشُـــؤونِ رَبِّ السَـــيفِ وَالمِـــزراق
كَـــلا وَلا أَدعـــوكُمُ أَن تُســـرِفوا
فـــي الحَجـــبِ وَالتَضـــييقِ وَالإِرهـــاق
لَيسَـــت نِســـاؤُكُمُ حُلـــىً وَجَـــواهِراً
خَـــوفَ الضَـــياعِ تُصـــانُ فـــي الأَحقـــاق
لَيسَـــت نِســـاؤُكُمُ أَثاثـــاً يُقتَنـــى
فـــي الـــدورِ بَـــينَ مَخـــادِعٍ وَطِبـــاق
تَتَشَـــكَّلُ الأَزمـــانُ فـــي أَدوارِهـــا
دُوَلاً وَهُـــنَّ عَلـــى الجُمـــودِ بَـــواقي
فَتَوَسَّـــطوا فـــي الحـــالَتَينِ وَأَنصِـــفوا
فَالشَـــرُّ فـــي التَقييـــدِ وَالإِطـــلاق

رَبّـــوا البَنـــاتِ عَلـــى الفَضـــيلَةِ إنَّهـــا
فـــي المَـــوقِفَينِ لَهُـــنَّ خَيـــرُ وَثـــاقِ
وَعَلَـــيكُمُ أن تَســـتَبينَ بَنـــاتُكُم
نـــورَ الهُـــدى وَعَلـــى الحَيـــاءِ البـــاقي

الشاعر: حافظ إبراهيم (شاعر النيل)

هـو محمـد حـافظ بـن إبـراهيم المولـود في محافظـة أسـيوط عـام ١٨٧٢م على متن سفينة كانت راسية على نهر النيل أمام ديروط وهي قرية بمحافظة أسيوط أبوه مصري وأمه تركية. توفي والداه وهو صغير. أتت به أمه قبل وفاتها إلى القاهرة حيث نشأ بها يتيمًا تحت كفالة خاله الذي ألحقه بالمدرسة الخيريَّة بالقلعة. فبقي في القاهرة حتى التحاقه بالمدرسة الخديويَّة الثانويَّة. ثم انتقل مع خاله إلى طنطا عام ؛ حيث كان يعمل مهندسًا للتنظيم هناك و كان ضيق الرزق حيث كان يعمل مهندسا في مصلحة التنظيم.

وقد التحق حافظ إبراهيم بالحاماة، لكنه سرعان ما ضجر منها، وتركها عائدًا إلى القاهرة ملتحقًا بالمدرسة الحربيَّة، وتخرَّج فيها برتبة ملازم ثان عام وقد قارب العشرين من عمره، فاستعانت به وزارة الداخلية، ثم استغنت عنه ثم عاد مرَّة أخرى إلى وزارة الحربيَّة. فحوَّلته بدورها إلى الاستيداع لتراخيه وتكاسله في عمله عام ١٨٩٥م.

ثم عاد حافظ إبراهيم مرَّة أخرى إلى العمل بوزارة الحربية حيث تمَّ إرساله إلى السودان مع الجنرال الإنجليزي "كيتشنر" ليعمل تحت إمرته، وفي السودان عانى حافظ من صلف الجنرال الإنجليزي، واتُّهم بعدها حافظ إبراهيم بتحريض

الضغط على العصبان والتمرُّد. يُحال مرَّة أخرى للاستيداع سنة ١٩٠٠م، فعاد للقاهرة باحثًا عن وظيفة مدنيَّة يقتات منها، ولكنّ الشاعر ظلّ يكابد قسوة الحياة معتمدًا على راتب الاستيداع الذي لم يتجاوز الأربعة جنيهات، لكنه في عام ١٩١١م عُيِّن بدار الكتب بواسطة أحمد حشمت باشا، ثم يمنحه درجة الباكوية، ثم نيشان النيل.

امتاز بقوة ذاكرته والتي قاومت السنين ولم يصبها الوهن والضعف على مر ٦٠ سنة هي سنوات عمره، تلك الذاكرة التي اتسعت لعدد لا حصر له من القصائد العربية القديمة والحديثة ومئات المطالعات والكتب وكان باستطاعته - بشهادة أصدقائه - أن يقرأ كتابًا أو ديوان شعر كاملاً في عده دقائق وبقراءة سريعة ثم بعد ذلك يتمثل ببعض فقرات هذا الكتاب أو أبيات ذاك الديوان. وروى عنه بعض أصدقائه أنه كان يسمع قارئ القرآن في بيت خاله يقرأ سورة الكهف أو مريم أو طه فيحفظ ما يقوله ويؤديه كما سمعه بالرواية التي سمع القارئ يقرأ بها.

ومع تلك الهبة الرائعة من قوة في الذاكرة إلاَّ أنه لم يهتم بتنمية مخزونه الفكري فلم يقرأ كتاباً واحداً من آلاف الكتب التي تزخر بها دار المعارف، والتي كان الوصول إليها يسيرا بالنسبة لحافظ إذ كان رئيسًا للقسم الأدبي بدار الكتب آنذاك في فترة امتدت من ١٩١١ إلى ١٩٣٢.

كان متلافا للمال شديد التبذير، فقد قال عنه العقاد رحمه الله (مرتب سنة في يد حافظ إبراهيم يساوى مرتب شهر) ومما يروى عن غرائب تبذيره أنه استأجر قطارا كاملا ليوصله بمفرده إلى حلوان حيث يسكن وذلك بعد مواعيد العمل الرسمية.

كان حافظ إبراهيم إحدى عجائب زمانه، ليس فقط في جزالة شعره بل يعتبر شعره سجل الأحداث، إنما يسجلها بدماء قلبه وأحزاء روحه ويصوغ منها أدبا فبما يحث النفوس ويدفعها إلى النهضة، سواء أضحك في شعره أم بكى وأمل أم يئس، فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ويملؤه بما يجيش في صدره.

كان أحسن خلق الله إنشادًا للشعر. ومن أروع المناسبات التي أنشد فيها شعره بكفاءة هي حفلة تكريم أحمد شوقي ومبايعته أميراً للشعر في دار الأوبرا الخديوية، وأيضًا القصيدة التي أنشدها ونظمها في الذكرى السنوية لرحيل مصطفى كامل التي خلبت الألباب وساعدها على ذلك الأداء المسرحي الذي قام به حافظ للتأثير في

وفاته :

توفي حافظ إبراهيم سنة ١٩٣٢م في الساعة الخامسة من صباح يوم الخميس، وكان قد أستدعى ٢أمن أصحابه لتناول العشاء ولم يشاركهما لمرض أحس به. وبعد مغادرتهما شعر بشدة المرض فنادى غلامه الذي أسرع لاستدعاء الطبيب وعندما أتى وجد حافظا قد أسلم الروح إلى بارئها . ودفن في مقابر السيدة نفيسة بالقاهرة .

له نتاج أدبي يتمثل في :

- ديوان شعر كبير.
- البؤساء: ترجمة عن فكتور هوجو.
- ليالي سطيح في النقد الاجتماعي.

- في التربية الأولية. (معرب عن الفرنسية).
- الموجز في علم الاقتصاد. (بالاشتراك مع خليل مطران).

ومن جميل شعره الوطني السياسي ما قاله في (مأساة دنشواي) التي راح ضحيتها كثير من المصريين :

أيُّهـــا القـــائمونَ بِـــالأمرِ فينـــا
هَـــل نَسِـــيتُمْ وَلاءَنـــا وَالـــوِدادَا؟
خَفِّضـــوا جَيشَـــكُمْ وَنـــامُوا هَنيئًـــا
وَابتَغـــوا صَـــيْدَكُمْ وَجوبُـــوا الـــبِلادَا
وَإِذا أَعـــــوَزَتكُمُ ذاتُ طَـــــوقٍ
بَـــيْنَ تِلْـــكَ الرُبـــا فَصـــيدوا العِيَـــادَا
إِنَّمـــا نَحْـــنُ وَالحَمـــامُ سَـــواءٌ
لَـــم تُغـــادِرْ أَطواقُنـــا الأَجيَـــادَا
لَيـــتَ شِـــعري أَتِلْـــكَ مَحكَمَـــةُ
التفـتيشِ عادَتْ أَم عَهدُ نيـرونَ عَـادَا؟
كَيـــفَ يَحلـــو مِـــنَ القَـــوِيِّ التَشَـــفّي
مِـــن ضَـــعيفٍ أَلقـــى إِلَيـــهِ القِيَـــادَا؟
أَنـــتَ جَلَّدْتَنـــا قَـــلا تَـــنسَ أَنَّـــا
قَـــد لَبِســـنا عَلَـــى يَـــدَيكَ الحِـــدَادَا

المقاربة النصية :

المستوى الفكري :

هذا نص اجتماعي يندرج تحت دعوات الإصلاح والتربية التي حمل لواءها كثير من الشعراء إيمانا منهم بدور الكلمة وخصوصا الشعر في مجال الإصلاح والتربية والتهذيب.

والقصيدة مقسمة إلى أجزاء :

في الجزء الأول منها :

يتغزل الشاعر في مصر ويبين أن عشقه لها قد فاق كل حد ويتمنى أن يراها حرة طليقة يقوم على حمايتها وتصريف أمورها شعب يحمل في طياته الرقي والتقدم ويتمتع بمكارم الأخلاق يطيب له البذل والعطاء من أجل هذا البلد العظيم فيقول :

كَـــم ذا يُكابِـــدُ عاشِـــقٌ وَيُلاقِـــي
فـــي حُـــبِّ مِصـــرَ كَثيـــرَةِ العُشّـــاق
إِنّـــي لأَحمِـــلُ فـــي هَـــواكِ صَـــبابَةً
يا مِصـــرُ قَـــد خَرَجَـــت عَـــنِ الأَطـــواق
لَهفـــي عَلَيـــكِ مَتـــى أَراكِ طَليقَـــةً
يَحمـــي كَـــريمَ جمـــاكِ شَـــعبٌ راقـــي
كَلِـــفٌ بِمَحمـــودِ الخِـــلالِ مُتَـــيَّمٌ
بِالبَـــذلِ بَـــينَ يَـــدَيكِ وَالإِنفـــاق

وفي الجزء الثاني من النص :

يتحدث الشاعر عن الأخلاق الكريمة والمروءة ، ويبين أنه يلذ له ما في الإنسان من كرم الخلال ، وأن من رضا الله عن الإنسان أن يرزقه خلقًا طيبًا .

والناس مختلفون فيما بينهم ، فهذا رزقه مال ، وهذا رزقه علم ، وهذا رزقه مال وفير ، والمال لا بد له من علم يصونه ويحميه ، وكذلك العلم لا بد له من خلق يتوج صاحبه ، فالعلم وحده بغير خلق لا جدوى منه ، ثم يبين قيمة الخلق الكريم لصاحبه : فالطبيب والمهندس والفقيه والأديب ما لم يجعلوا الأخلاق الكريمة أساسا لعملهم كانت أعمالهم سدى لا غناء فيها ولا نفع ، يقول :

إِنِّـــي لَتُطرِبُنِـــي الخِـــلالُ كَرِيمَـــةً
طَـــرَبَ الغَرِيـــبِ بِأَوبَـــةٍ وَتَلاقِـــي

وَتَهُزُّنِـــي ذِكـــرى المُـــروءَةِ وَالنَّـــدى
بَـــينَ الشَّـــمائِلِ هِـــزَّةَ المُشـــتاقِ

فَـــإِذا رُزِقـــتَ خَلِيقَـــةً مَحمـــودَةً
فَقَـــدِ اِصـــطَفاكَ مُقَسِّـــمُ الأَرزاقِ

فَالنـــاسُ هَـــذا حَظُّـــهُ مـــالٌ وَذا
عِلـــمٌ وَذاكَ مَكـــارِمُ الأَخـــلاقِ

وَالمـــالُ إِن لَـــم تَـــدَّخِرهُ مُحَصَّـــناً
بِـــالعِلمِ كـــانَ نِهايَـــةَ الإِمـــلاقِ

وَالعِلـــمُ إِن لَـــم تَكتَنِفـــهُ شَـــمائِلٌ
تُعلِيـــهِ كـــانَ مَطِيَّـــةَ الإِخفـــاقِ

لا تَحسَبَنَّ العلمَ يَنفَعُ وَحدَهُ
ما لَم يُتَوَّج رَبُّهُ بِخَلاق

كَم عالِمٍ عِندَ العُلومَ حَبائلاً
لِوَقيعَةٍ وَقَطيعَةٍ وَفِراق

وَفَقيهِ قَومٍ ظَلَّ يَرصُدُ فِقهَهُ
لِمَكيدَةٍ أَو مُستَحَلِّ طَلاق

يَمشي وَقَد نُصِبَت عَلَيهِ عِمامَةٌ
كَالبُرجِ لَكِن فَوقَ تَلِّ نِفاق

يَدعونَهُ عِندَ الشِقاقِ وَما دَرَوا
أَنَّ الَّذي يَدعونَ خِدنُ شِقاق

وَطَبيبِ قَومٍ قَد أَحَلَّ لِطِبِّهِ
ما لا تُحِلُّ شَريعَةُ الخَلاق

قَتَلَ الأَجِنَّةَ في البُطونِ وَتارَةً
جَمَعَ الدَوانِقَ مِن دَمِ مُهراق

أَغلى وَأَثمَنُ مِن تَجارِبِ عِلمِهِ
يَومَ الفَخارِ تَجارِبُ الخَلاق

وَمُهَندِسٍ لِلنيلِ باتَ بِكَفِّهِ
مِفتاحُ رِزقِ العامِلِ المِطراق

تَندى وَتَيبَسُ لِلخَلائِقِ كَفُّهُ
بِالماءِ طَوعَ الأُصفُرِ البَرّاق

لا شَيءَ يَلوي مِن هَواهُ فَحَدُّهُ
في السَلبِ حَدُّ الخائِنِ السَرّاق

وأديـــب قـــوم تســـتحق يمينـــه
قطـــع الأنامـــل أو لظـــى الإحـــراق
يلهـــو ويلعـــب بـــالعقول بيانـــه
فكأنـــه فـــي السحـــر رقيـــة راقـــي
فـــي كفـــه قلـــم يمـــج لعابـــه
سمـــاً وينفثـــه علـــى الأوراق
يـــرد الحقـــائق وهـــي بـــيض نصـــع
قدســـية علويـــة الإشـــراق
فيردهـــا ســـوداً علـــى جنباتهـــا
مـــن ظلمـــة التمويـــه ألـــف نطـــاق
عريـــت عـــن الحـــق المطهـــر نفســـه
فحياتـــه ثقـــل علـــى الأعنـــاق
لـــو كـــان ذا خلـــق لأســـعد قومـــه
ببيانـــه ويراعـــه الســـباق

في الجزء الأخير من النص:

يتحدث الشاعر عن مكانة المرأة ومنزلتها في المجتمع، وأنها الأساس لكونها تربي الأولاد، وتخرج الأجيال، ثم يناشد قومه أن يحسنوا تربية البنات، وأن تكون تنشئتهن على الفضائل، وان تكون تربية وسطية معتدلة، ليس فيها تزمت ولا تفريط، يقول في منزلة المرأة:

مـــن لـــي بتربيـــة النســـاء فإنهـــا
فـــي الشـــرق علـــة ذلـــك الإخفـــاق

الأمُّ مَدرَسَـــــــــةٌ إذا أعـــــــــدَدتَها
أعـــدَدتَ شَـــعباً طَيِّـــبَ الأعـــراق
الأمُّ رَوضٌ إن تَعَهـــــــــدَهُ الحَيـــــــا
بِـــــالريِّ أورَقَ أيُّمـــــا إيـــــراق
الأمُّ أســـــتاذُ الأســـــاتِذَةِ الأُلـــــى
شَـــغَلَت مَـــآثِرُهُم مَـــدى الآفـــاق

وقول في تربية البنات :

أنـــا لا أقـــولُ دَعـــوا النِساءَ سَـــوافِراً
بَـينَ الرِجـالِ يَجُلـنَ فـي الأسـواق
يَـــدرُجنَ حَيـــثُ أرَدنَ لا مِـــن وازِعٍ
يَحـــذَرنَ رَقِيبَتَـــهُ وَلا مِـــن واقـــي
يَفعَلـــنَ أفعـــالَ الرِجـــالِ لَواهِيـــاً
عَـــن واجِبـــاتِ نَـــواعِسِ الأحـــداق
فـــي دورِهِـــنَّ شُـــؤونُهُنَّ كَثيـــرَةٌ
كَشُـــؤونِ رَبِّ السَـــيفِ وَالمِـــزراق
كَـــلا وَلا أدعـــوكُمُ أن تُســـرِفوا
فـــي الحَجـــبِ وَالتَضـــييقِ وَالإرهـــاق
لَيسَـــت نِســـاؤُكُمُ حُلـــىً وَجَـــواهِراً
خَـــوفَ الضَـــياعِ تُصـــانُ فـــي الأحقـــاق
لَيسَـــت نِســـاؤُكُمُ أثاثـــاً يُقتَنَـــى
فـــي الـــدورِ بَـــينَ مَخـــادِعٍ وَطِيـــاق

تتشكّلُ الأزمانُ في أدوارِها
دُوَلاً وَهُنَّ على الجُمودِ بَواقي
فتوسّطوا في الحالتَينِ وأنصفوا
فالشرُّ في التقييدِ والإطلاق
رتّبوا البناتِ على الفضيلةِ إنّها
في الموقِفَينِ لَهُنَّ خيرُ وثاق
وعليكُمُ أن تستبينَ بناتُكُم
نورَ الهُدى وعلى الحَياءِ الباقي

المستوى البنائي :

لأن النص اجتماعي يحمل في طياته رسالة تربوية فقد آثر الشاعر الاتكاء على الأسلوب الخبري بصورة ملموسة يعتمد من خلاله على تأكيد الحقائق والإخبار عنها كالخبر في قوله : -

إنّـــي لأحمـــلُ فـــي هَـــواكِ صَـــبابَةً
إنّـــي لَتُطربُنـــي الخِـــلالُ كَريمَـــةٌ
وتَهُزُّنـــي ذِكـــرى المُـــروءَةِ وَالنَّـــدى
فَالنـــاسُ هَـــذا حَظُّـــهُ مـــالٌ وَذا
عِلمٌ وَذاكَ مكارِمُ الأخلاق
وَالمـــالُ إن لَـــم تَـــدْخِرهُ مُحَصَّـــناً
بِـــالعِلمِ كـــانَ نِهايَـــةَ الإمـــلاق
وَالعِلـــمُ إن لَـــم تَكتَنِفـــهُ شَـــمائِلٌ
تُعليـــهِ كـــانَ مَطِيَّـــةَ الإخفـــاق

وقوله :

الأمُّ مَدرَسَـــــةٌ إذا أعـــــدَدتَها
أعـــدَدتَ شَـــعباً طَيِّـــبَ الأعـــراق
الأمُّ رَوضٌ إن تَعَهَّـــدَهُ الحَيـــا
بِـــالرِيِّ أورَقَ أيُّمـــا إيـــراق
الأمُّ أســـتاذُ الأســـاتِذَةِ الأُلـــى
شَـــغَلَت مَـــآثِرُهُم مَـــدى الآفـــاق

وفي مجال النصح والإرشاد اعتمد على الأسلوب الإنشائي كما في قوله داعيا إلى تحلى العلماء بالخلق الكريم :

لا تَحسَبَنَّ العِلمَ يَنفَعُ وَحدَهُ
ما لَم يُتَوَّج رَبُّهُ بِخَلاق

وفي إطار الدعوة إلى تربية البنات اعتمد على صيغة الامر للنصح والإرشاد في قوله : دعوا ، توسطوا ، أنصفوا ، ربوا ، عليكم .

لا أقولُ دَعوا النِساءَ سَوافِراً
بَينَ الرِجالِ يَجُلنَ في الأَسواق
فَتَوَسَّطوا في الحالَتَينِ
وَأَنصِفوا فَالشَرُّ في التَقييدِ وَالإِطلاق
رَبّوا البَناتِ عَلى الفَضيلَةِ
وَعَلَيكُمُ أَن تَستَبينَ بَناتُكُم
نورَ الهُدى وَعَلى الحَياء الباقي

وللتصوير والخيال نصيب كبير في النص نلمسه في :

- **التشبيه في قوله :**

ويهزني ذكر المروءة والندي هزة المشتاق .

- الأم روض .

- الأم مدرسة .

- الأم أستاذ .